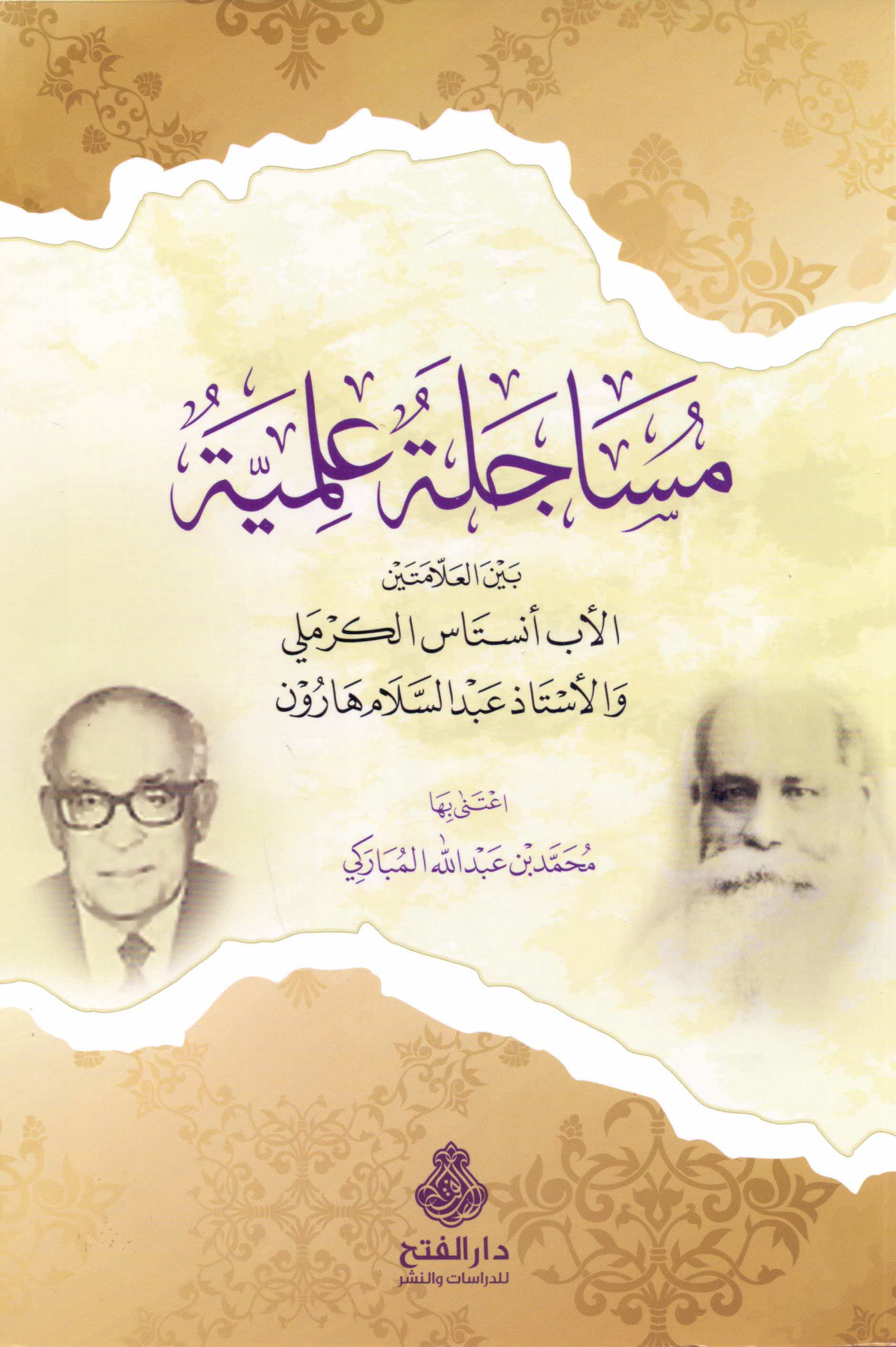

مُسَاجَلَةٌ عِلْمِيَّةٌ
بين العلّامتين
الأب أنستاس الكرملي
والأستاذ عبد السّلام هارُون
اعتنى بها
مُحمّد بن عبد الله المُباركِي
دار الفتح
للدراسات والنشر

هذا الكتاب

مباحثاتٌ علميّة هادئة بين العلّامتين: الأب أنستاس الكرمليّ والأستاذ عبد السلام محمد هارون، دارت حول كتاب من أهم كتب الأدب هو كتاب «الحيوان» للجاحظ، وتنوّعت في جوانب عميقة من اللغة والأدب، حوت فوائد علميّة نادرة ومباحث لغويّة مُشكِلة، وسارت ضمن منهج علمي دقيق، فضلاً عما أبرزته من القواعد الصحيحة في تحقيق النصوص، وتوثيق المعلومات من مراجعها الأصيلة، زانها ذلك الأدب الذي عظُمَ حين تمثّلته القامات العالية في العلم، فقد كان العلّامة عبد السلام هارون مثالاً رائعاً في التأدُّب مع أستاذه والاستفادة من تعقيباته عليه، غيرَ حائلٍ ذلك عن بيان المواطن التي يخالف أستاذه فيها. وبالجملة فقد أبان الرجلان في مباحثاتهما عن علم وخلُق رفيعَين.





هاتف : 199 46 46 6 00962
فاكس : 188 46 46 6 00962
ص.ب : 183479 عمّان 11118 الأردن
info@daralfath.com • www.daralfath.com

9789957232245

مُسَاجَلَةٌ عِلْمِيَّةٌ

بين العلامتين

الأب أنستاس الكرملي

والأستاذ عبد السلام هارون

مساجله علمية

بين العلامتين الأب أنستاس الكرملي والأستاذ عبد السلام هارون

اعتنى بها : محمد بن عبد الله المباركي

الطبعة الأولى: 1433هـ - 2012م

قياس القطع: 17 × 24

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9957-23-224-5

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2012/1/326)



هاتف: 4646199 6 (00962)

فاكس: 4646188 6 (00962)

جوال: 799038058 (00962)

ص.ب: 183479 عمّان 11118 الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع على الشبكة الإلكترونية: www.daralfath.com

مساجلة علمية

بين العلامتين

الأب أنستاس الكرملي

والأستاذ عبد السلام هارون

اعتنى بها

مُحمّد بن عبد الله المُبارَكي



دار الفتح للدراسات والنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد،

فإنَّ الردود العلمية المتبادلة بين أهل العلم هي صورةٌ من صور انكشاف النفوس البشرية، وما تتحلى به من سموٍ في أخلاقها إذا كان أدبُ العلم هو الأساس لها، ويعظمُ هذا الأدب إذا كان المتمثلُ به تلك القامات العالية من أهل التحقيق.

ولقد حفظت لنا صفحات مجلة الثقافة[١] التي كان يصدرها الأستاذ أحمد أمين[٢]

---

(١) أنشأ الأستاذ أحمد أمين مجلة «الثقافة» في يناير ١٩٣٩م، واستمر إصدارها أربعة عشر عاماً متوالية، وقد ذكر الأستاذ محمد رجب البيومي في مجلة «الهلال» ٤/ ١٩٩٥، أنَّ منشئ المجلة هو: الأستاذ أحمد أمين ومن كان معه في لجنة التأليف، بعد أن ترك الكتابة في الرسالة، وفي هذا ردٌّ على من قال أن إصدار «الثقافة» كان بعد أن توقفت مجلة «الرسالة»، فقام الأستاذ أحمد حسن الزيات ومن كان معه في لجنة التأليف بإنشائها وعهد إلى الأستاذ أحمد أمين بأن يكون مديراً لها.

(٢) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ (١٢٩٥-١٣٧٣هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤م): عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته إلى (الطباخ)، مولده ووفاته بالقاهرة، قرأ مدة قصيرة في الأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرس بها إلى سنة ١٩٢١، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وانتخب عميداً لها، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد. ومن أعماله: إشرافه على (لجنة التأليف والترجمة والنشر) مدة ثلاثين سنة، والكتابة في مجلة «الرسالة»، وأنشأ مجلة «الثقافة»، وجمع مقالاته المنشورة فيها في كتابه «فيض الخاطر ـ ط» ستة أجزاء، ومن تآليفه المطبوعة: «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» و«ظهر الإسلام» و«يوم الإسلام» و«النقد الأدبي» جزآن و«زعماء الاصلاح في العصر الحديث» و«إلى ولدي» و«حياتي» و«قاموس العادات» و«الصعلكة والفتوة في الإسلام» و«مبادئ الفلسفة» مترجم. «الأعلام» (١: ١٠١)، الجامع في تاريخ الأدب الحديث لحنا الفاخوري ص٣٠٧.

ومجلة المقتطف[١] للأستاذ يعقوب صروف[٢]، في طياتها حلقات من الردود المتبادلة بين الأستاذين الكبيرين الأب أنستاس ماري الكرملي والأستاذ عبد السلام هارون، زاد تلك الحلقات جمالاً وفائدةً أنها قد تناولت كتاباً من أهم الكتب التي حفظتها لنا خزائن التراث، ذلك هو كتاب (الحيوان) لأبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ[٣]، المتوفى بعد سنة ١٥٠هـ.

أبرز لنا ذلك الحوار بين هذين العلمين أهمية التحقيق المبني على أسس علمية صحيحة، وطريقة التنقيب عن الفائدة وإرجاعها إلى موطنها الأصيل، وكذلك الأدب الجم الذي لا يخرج العالم عن المقصد الأساس.

لقد كان فرح الأب الكرملي بصدور كتاب الحيوان في حلته الجديدة وبتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون لا يعادلهُ فرح، وخاصةً أنَّ كتاب الجاحظ قد عالج الكثير من المسائل والقضايا التي أفنى فيها الأستاذ جزءاً كبيراً من عمره، ومن ذلك اهتمامه بالعامية وإرجاعها إلى اللغة الفصحى، وكذلك اهتمامه البالغ بالحيوان والنبات، وقد بادر فور

---

(١) أنشأت في بيروت عام ١٨٧٦ من قبل يعقوب صروف وفارس نمر قبل أن تنتقل إلى القاهرة. صدر أول عدد لها بتاريخ ١٨٧٦ وكانت تكتب المجلة على صدرها أنها مجلة علمية صناعية زراعية، ولم يبدأ إصدارها المنتظم إلا في سنة ١٨٨٨.

(٢) ولد يعقوب بن نقولا صروف (١٢٦٩-١٣٤٦هـ/ ١٨٥٢-١٩٢٧م) في قرية الحدث بلبنان، بعثه والده إلى مدرسة الأميركان في عبيه، ثم إلى الجامعة الأميركية في بيروت فنال شهادتها عام ١٨٧٠م، وبعد ذلك تولى رئاسة وإدارة مدرستي الأميركان في صيدا وطرابلس، وفي سنة ١٨٧٦ أنشأ مجلة «المقتطف» في بيروت ومعه الأديب فارس نمر وظلت تصدر مدة تسع سنوات تقريباً ثم نُقلت بعدها إلى القاهرة سنة ١٨٨٨ كما في أغلب المصادر وهو مخالفٌ لما ذكره الزركلي في «الأعلام» من أنَّ انتقالهم إلى مصر كان في أواخر سنة ١٨٨٤ وانطلاق المجلة كان سنة ١٨٨٥م، كما شارك في إصدار جريدة المقطم سنة ١٨٨٩م، توفي سنة ١٩٢٧. «الأعلام» (٨: ٢٠٢)، «الجامع في تاريخ الأدب العربي» ص١٨٣.

(٣) نشرت مجلة «المورد» المجلد ٧ العدد ٤ الصادر سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م عدداً خاصاً عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وكذلك نشر الأستاذ علي جواد الطاهر بحثاً بعنوان «ترجمة مصادر الجاحظ» في المجلة ذاتها المجلد ٤ العدد ٢ سنة١٣٩٥-١٩٧٥ ص٢٦٧-٢٦٩.

وصول نسخة الكتاب المهداة من الأستاذ عبد السلام هارون بقراءتها قراءة المدقق والمحقق، والتعليق على ما ظهر له منها أنه موطنُ إشكال.

وكان الكرملي مثلاً رائداً في النقد مع حدةٍ يشوبها الحرص على الحق في رده على بعض المواطن، ومستفهماً في مواطن أخرى، وكعادته في مقالاته فإنَّهُ يضفي عليها شيئاً من المُلح التي لا تخلو منها حياته.

أمَّا الطرف الثاني في هذه الردود فهو أستاذ المحققين الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله، والذي كان مثالاً في تأدب التلميذ مع أستاذه، وحرصه على أن يستفيد من تلك التعليقات، ثم أنه لم يألو جهداً في بيان المواطن التي ظهر له من خلالها مخالفة أستاذه الكرملي، والتي أبان فيها عن أدب جم، وخلقٍ رفيع.

وعند اطِّلاعي على الرد الأول للعلامة الكرملي على صفحات الثقافة، شدني ما حوى من فوائد علمية ومباحث لغوية، فحرصتُ على جمع شتاتها مع ما ورد من العلاَّمة عبد السلام هارون، ثم عدتُ بعد ذلك لقراءة تراجم هذين العلمين لعلي أظفرُ بشيءٍ عنها، فوجدتُ بغيتي عند تلميذ الكرملي البار الأستاذ كوركيس عواد، والذي ذكر في كتابه عن الكرملي ما نُشر في صفحات المقتطف من تتمات الردود، وكان الحرصُ على اخراجها لعلمي أن الكثير من الباحثين قد لا تتوفر لديهم هذه الردود مجموعةً في موطنٍ واحد، وكذلك حبي في المساهمة بخدمة هذين العلمين الكبيرين.

عملي في هذه الردود:

قمتُ بجمع الردود من صفحات المجلتين (الثقافة) و(المقتطف)، لكلا الأستاذين وجعلتُ حاشيةً في بداية كلِ رسالة ذكرتُ فيها العدد الذي صدرت فيه والسنة التي نُشر فيها ذلك العدد، ثم صدَّرتُها حسب التسلسل التاريخي برسائل الأب الكرملي في مجلة (الثقافة)، وعدد هذه الرسائل خمس رسائل، جميعها تحوي ملاحظات الأب على تحقيق الجزء الثالث من كتاب (الحيوان).

أعقبتُ ذلك بردود الأستاذ عبد السلام هارون والتي نشرها في (الثقافة) بعد انتهاء نقد الأب الكرملي، وعدد هذه الرسائل أربع رسائل.

عقِب ذلك ابتدأتُ فصلاً جديداً بالردود التي كانت على صفحات مجلة (المقتطف) والتي كانت حول ملاحظات الأب أنستاس الكرملي على المجلد الخامس، وبدأت بردود الكرملي والتي كانت عددها ثلاثُ استدراكاتٍ، ثم بعد ذلك برد واحدٍ للأستاذ عبد السلام.

وردت تعليقات يسيرة في حواشي بعض الردود، ولما كان الجزء الكبير من التعليقات للمعتني، جعلتُ الأصل في الحواشي من تعليقاتي ولم أرمز له بشيء، وميزت تعليقات الكرملي بالرمز (ك) وهارون بالرمز (هـ).

واللهَ أسأل أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه، وابتغاءً لمرضاته، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الرياض

في ٩ من محرم ١٤٣٣هـ

الموافق ٥/ ١٢/ ٢٠١١م

وكتبه

محمد بن عبد الله المباركي

almubarki@hotmail.com

كتاب الحيوان للجاحظ

يقول الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه لكتاب الحيوان (١ : ٢٨): (لا يعرف فضل هذا الكتاب، إلاَّ من نظر فيه طويلاً، وتناول نواحيه بالدرس والتَبيُّن.

وقد يُوهم اسمُه أنّه قد خصّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب، ولكنَّ الحقَّ أنَّ الكتاب معلمة واسعة، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العبَّاسي، المتشعبة الأطراف.

فقد حوى الكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعية، والمسائل الفلسفية، كما تحدَّث في سياسة الأقوام والأفراد، وكما تكلَّم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية.

تحدث الكتاب في كثير من المسائل الجغرافية، وفي خصائص كثير من البلدان، وفي تأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر، كما تناول الحديث في الأجناس البشرية وتبايُنها، كما عرض لبعض قضايا التاريخ.

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض: أمراض الحيوان والإنسان، وبيان كثير من المفردات الطِّبيَّة، نباتيّها وحيوانيّها ومعدنيّها.

تحدث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب، وأحوالهم وعادِهم، ومزاعمهم وعلومهم، كما أفاض القولَ في آي الكتاب العربي، وحديث الرسول العربي، وكما فصَّل بعضَ مسائل الفقه والدين.

والكتاب كذلك ديوانٌ جمع الصفوة المختارةَ من حُرِّ الشعر العربي ونادره، وناهيك باختيار أبي عثمان! وإن أردت الأمثالَ فهو قد جمع لك منها القدر الكبير، أو أحببت الحديث في البيان ونقد الكلام والشِّعر، وجدتَ ما ترتاح إليه نفسُك وتطمئن.

أمَّا فكاهة الجاحظ فهذه قد نُثرت في الكتاب نثراً، وإنّها لتطالعك بين الفينة والأخرى، متمثّلةً فيها يَروي: من نادرةٍ، أو يحكي: من قصَّة، وأمّا المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحيةً من النواحي التي غلبت على كثير من متأدبي عصر الجاحظ، التي لم يكن فيها حَرج حينئذٍ ولا خشية.

هذه صفةٌ للكتاب مجملة، أوجَزْتها إيجازاً ولم أُردْ تفصيلها، فذلك إنَّما يكون في كتاب.

على أنَّ الفهرس الذي ابتدعته وأسميته (فهرس المعارف) سوف يجلي للقارئ أشياء وأشياءَ غير ما ذكرت، وبه يظهر كثيرٌ مما كمن في جَنَبات ذلك الكنْز القيِّم).

قلتُ: فإذا عُلم ذلك فلا ريبَ أن يتصدر لخدمة هذا السفر العظيم مثل الأستاذ الكبير عبد السلام هارون، ولاريبَ أن يحرص عالم في قامة الأب أنستاس ماري الكرملي في تفريغ جزء كبير من وقته لنقد ما ورد في تحقيق هذا الكتاب.



ترجمة
الأب أنستاس ماري الكرملي
بخطِّ يدِه[١]

ميلاده:

ولد الأب أنستاس ماري الكرملي الإيلياوي في بغداد في ٥ آب سنة ١٨٦٦. ونصر في ٩ منه، وسمي بأربعة أسماء: بطرس وبولس وعبد الأحد وماري، وقد عمده الأب دميانوس اليوسفي المرسل الرسولي الكرملي الفرنسي.

أبوه ميكائيل ماريني، واسمه الحقيقي جبرائيل عواد الماروني، من بحر صاف في بكفيا من قرى لبنان، وبيت عواد أشهر من أن يذكر، وأبدل اسمه جبرائيل بميكائيل لأمور سياسية كانت في ذلك العهد، وكان بعضهم يتأثر الموارنة فيقتلونهم، فرحل من لبنان مرافقاً أحد المنتمين إلى نابليون بونابرت، وكان قد جاء سورية ثم رحل منها إلى الأستانة ومنها إلى فارس والعراق، فكان جبرائيل رفيقه وترجمانه، وكان يفهم ١٤ لغة.

وفي بغداد عرف مريم مرغريتة (أو لؤلؤة)، من بيت أوغسطين جبران الكلداني

---

(١) وردت هذه الترجمة في كتابه المخطوط «مُعين المحقق ومَعين المدقق» ص٣٦٠-٣٧٠، وهو جزآن فُقد أولهما في سقوط بغداد سنة ١٩١٧. أما الثاني فقد ألفه سنة ١٩٠٨ في ٨٦٢ صفحة ونسخته في دير الآباء الكرمليين ببغداد، ونشر هذه الترجمة الباحث العراقي حكمت رحماني في مجلة «المورد» البغدادية: المجلد السادس العدد الثاني ص١٤٦-١٤٩، وقد استفاد منها الأستاذ حسين محمد العجيل فصنع مسرداً تاريخياً لحياة المترجم له في «رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي» ص٤٤-٥٧، وفيها نبه الأستاذ العجيل إلى الوهم الذي وقع فيه الزركلي في «الأعلام» (٢: ٢٥) في تاريخ ولادة الكرملي حيث ذكر أنها كانت سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، خلافاً لسائر المصادر الأخرى، التي أجمعت كلها على أنه ولد في ٥ من آب سنة ١٨٦٦م، وهو التاريخ الذي أكده العلاَّمة الكرملي نفسه.

البغدادي (وأمها مرتا ابنة رحماني الكلداني البغدادي)، فتزوجها فولد منها خمسة بنين وأربع بنات، وبطرس كان الابن الرابع من أبناء جبرائيل.

ولما بلغ بطرس الثامنة من عمره أدخل مدرسة الآباء الكرمليين إلى السنة الحادية عشرة، فأدخله أبوه على إلحاح من خال الولد وهو الشماس فرانسيس أوغسطين جبران، مدرسة الاتفاق الكاثوليكي، وهناك بقيَ سبعة أشهر، درس فيها مبادئ الصرف على الشماس يوسف خياط في كتاب مدخل الطلاب إلى فردوس لغة الأعراب للمعلم سليم تقلا اللبناني، وكليلة ودمنة على خاله الشماس فرنسيس، ولما وصل إلى المصدر الميمي من كتاب الصرف المذكور غادر مدرسة الاتفاق وعاد إلى مدرسة اللاتين للكرمليين، وهناك تلقى مبادئ اللغة الفرنسية، وكان هو يطالع بنفسه كتاب الصرف والنحو، حتى كاد يتمه فعينه مدير الرسالة الكرملية وهو الأب يوسف مارية مدرساً للغة العربية وآدابها في المدرسة المذكورة، وكان عمره يومئذ ١٦ سنة، فأخرج عدة تلاميذ أولعوا باللغة العربية وأتقنوها، ونشر وهو بذاك العمر مقالات عديدة في البشير والصفاء والجوانب باسمه أو بأسماء مستعارة مقالات علمية ولغوية ونحوية وأدبية تبلغ نحو الأربعين.

وفي سنة ١٨٨٦ وقع خلاف بين الدومنكيين والكرمليين في بغداد وصارت المدرسة بيد الدومنكيين، فأبى المعلم بطرس ميكائيل الماريني أن يبقى مدرساً فيها فغادر الزوراء وذهب إلى بيروت في المدرسة الإكليريكية للآباء اليسوعيين وهناك درس العربية ودرس اللاتينية واليونانية وبعد ١٤ شهراً زايل المدرسة وذهب إلى شفرمون قرب لياج في بلجكة فبدأ الحياة الرهبانية.

وفي ٢٢ حزيران سنة ١٨٨٩ نذر نذوره الرهبانية، وسمي (الراهب أنستاس ماري الأيلياوي) أو الخضري أي المضاف اسمه إلى القديس إيلياء أو الخضر.

ومن شفرمون رحل إلى لاغتو قرب نيس في كورة جبال الألب البحرية، درس فيها الفلسفة في دير هناك للآباء الكرمليين الحفاة وبعد أن أتم دروسه الفلسفية ذهب إلى

مونبليه في ليرو في فرنسة، وهناك قرأ اللاهوت وتفسير الكتاب المقدس والتاريخ الكنسي الأكبر.

وفي سنة ١٨٩٤ قُسِّسَ ومُقَسسه السيد كابريير كردنال مونبليه وهو من أكابر رجال فرنسة وعلمائها الأعلام.

وبعد أن قضى بضعة أشهر في مونبليه، رحل إلى الأندلس لمشاهدة آثار العرب، فجال في أغلب المدن التي كان فيها العرب، فرأى منها ما لم يكن يتصوره من الأبنية والقصور وخزائن الكتب والخطيات والعتائق (الأنتيكات) على أنواعها.

وفي أول شهر تشرين الثاني من سنة ١٨٩٤ عاد إلى بغداد، فدفعت إليه إدارة المدرسة الكرملية التي كان فيها تلميذاً، وكان في تلك الآونة يدرس العربية والفرنسية ويعظ في كنيسة الرسالة.

وفي سنة ١٨٩٧ أودعت إدارة المدرسة إلى راهب آخر، فتفرغ المترجم للوعظ والخطابة والكتابة في المجلات والجرائد في فرنسية وعربية.

ولم تكد تخلو جريدة أو مجلة كبيرة إلا وطُلب إليه أن يكتب فيها، فلبى طلب السائل لأنَّه لا يحب أن يرفض سؤالاً، ولو جمع ما نشره في الجرائد والمجلات بحرف المقتطف وحجمه لطبع منه نحو ألفي صفحة أو أكثر.

وأغلب مباحثه لم يطرقها قبله طارق، لأنَّه لا يحب أن يُعنى بما أوضحه العلماء بل بما بقي مهملاً ويحتاج إلى تحقيق، ولهذا أرصد نفسه لمثل تلك التدقيقات وقد نشرها في أغلب الأحايين باسم مستعار أو من دون اسم.

وكثير من مقالاتهِ قد نُقلت إلى الفرنسية والإنكليزية والروسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والتركية، ومن الكتاب من نقلها إلى لغته فادعاها لنفسه.

وقد نشر وأذاع ألفاظاً عربية جمة، منها مستعملة سابقاً عند العرب وكان يجهلها المعاصرون، ومنها ما كان لها صلة معنى تجيز اتخاذها في المعنى الحديث الذي يحتاج إليه أبناء

اللغة في هذا العهد من تطور اللغة، فتناولها حملة الأقلام بدون أن يعرفوا واضعها لعدم تصريحه باسمه.

ولـما كان قد تفرغ لدرس فلسفة اللغة العربية وأسرارها، اضطر إلى أن يدرس الآرمية والعبرية والحبشية والفارسية والتركية والصابئية، فأخذ منها ومن أصولها وألفاظها ما يحتاج إليه منها، ولهذا كانت مباحثه في هذا الموضوع وافية بالمقصود.

وفي شهر تموز من سنة ١٩١١ أنشأ مجلة في بغداد سماها (لغة العرب)، وكان يساعده في تحبيرها صديقه الشيخ كاظم الدجيلي[١]، فكانت سبباً لعقد صلات بينه وبين كتاب مشاهير العرب وبين المستشرقين، فراسلوه من كل بلد وأمة، وكانوا يستفتونه بما يتعلق بلغة العرب وتاريخهم وآدابهم.

وبين هؤلاء علماء المشرقيات: الفرنسي والإنكليزي والألماني والإيطالي والإسباني والهولندي واليوناني والروسي والأسوجي والنروجي والبلجيكي والدانمركي والإيرلندي والإسكندناوي، وأغلب مقالات (لغة العرب) كانت تعجم إلى الألمانية والفرنسية والإيطالية والروسية والإسبانية مما لا شك فيه.

وألح عليه مجمع المشرقيات الألماني فلم يلب طالبه إلّا في سنة ١٩١١، وطلبت إليه غيره من المجامع الانضواء إليها فأبى إذ يوجب عليه ذلك نشر مقالات إشارة إلى انخراطه في سلك ذلك المجمع والوقت لا يساعده.

وقد اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ ليكون عضو شرف فيه، هو والعلامة محمود شكري الآلوسي العالمان العراقيان اللذان اختارهما ذلك المجمع

---

(١) كاظم بن حسين بن عبد الله الدجيلي (١٨٨٤-١٩٧٠): شاعر وأديب عراقي، نشأ في بغداد، وتتلمذ لمحمود شكري الألوسي والكرملي ثم الزهاوي، وأصدر مع الأب الكرملي مجلة «لغة العرب» سنة ١٩١١، درّس العربية في جامعة لندن بين سنتي ١٩٢٤و١٩٣٠، وعمل في السلك السياسي فتنقل بين لندن والمحمرة وحيفا والقدس وبومبي وباريس وتبريز وموسكو، صنف قرابة ثلاثين كتاباً، لم يطبع سوى فصول من بعضها وله ديوان شعر مخطوط. «الأعلام» (٥: ٢١٥).

لعضويته الشرقية، وعُين عضواً في مجلس المعارف في العراق في سنة ١٩١٧، وعضواً في لجنة الترجمة والتعريب سنة ١٩٢١.

وبلغت تآليفه نحو ٣٠[١] مؤلفاً، وأغلبها ضخمة إلاّ أن أغلبها استولى عليها الأتراك في سنة ١٩١٤، فمنها أحرقوها[٢] ومنها تصرفوا فيها ولم ينج من أيديهم سوى عشرين طبعت أربعة وهي الصغرى منها:

١- الفوز بالمراد في تاريخ بغداد. وقد شحنه ناشره أغلاطاً جمة أفسدت الكتاب وشوهته كل التشويه وطبع في بغداد.

٢- كتاب التعبد ليسوع طفل براغ طبع في بغداد.

٣- نخبة من كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال. في العربية والفرنسية طبع في بيروت.

٤- خلاصة تاريخ العراق طبع في البصرة.

وأما المؤلفات الباقية فهي الآتية أسماؤها:

٥- جمهرة اللغات.

٦- خواطر علمية.

٧- كتاب الجموع.

٨- السحائب.

٩- العجائب.

١٠- الرغائب.

١١- الغرائب.

---

(١) كان هذا عام ١٩٢٢ وهو تاريخ كتابة هذه الترجمة. (ك)

(٢) للمزيد عن هذه النكبة المؤلمة لخزانة الكرملي، انظر ما كتبه تلميذه كوركيس عواد في «الأب أنستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته» ص٢٨.

١٢- أديان العرب.

١٣- حشو اللوزينج.

١٤- مختارات المفيد.

١٥- متفرقات تاريخية.

١٦- الأنباء التاريخية.

١٧- اللمع التاريخية والعلمية (في مجلدين ضخمين).

١٨- Melanges.

١٩- الغرر النواضر.

٢٠- النغم الشجي في الرد على الشيخ إبراهيم اليازجي.

٢١- الكرد قبل الإسلام.

٢٢- المجموعة الذهبية.

٢٣- أرض الشهرين (معرب عن الإنكليزية تأليف أدون بفن).

٢٤- شعراء بغداد وكتابها.

والكتب المفقودة هي:

٢٥- تصحيح أغلاط لسان العرب.

٢٦- تصحيح تاج العروس.

٢٧- تصحيح محيط المحيط للبستاني.

٢٨- تصحيح أقرب الموارد وما جاء فيه من المفاسد.

٢٩- الألفاظ اليونانية في اللغة العربية.

٣٠- الألفاظ الرومية (اللاتينية) في اللغة العربية.

٣١- الألفاظ الدخيلة (من عبرية وهندية وقبطية وحبشية وتركية) في العربية.

٣٢- الألفاظ الفارسية في اللغة العربية.

٣٣- الألفاظ الآرمية (السريانية والكلدانية) في العربية.

٣٤- الألفاظ العربية في اللغة الفرنسية.

وفي سنة ١٩١٧ أصدر في بغداد جريدة (العرب)، وكانت على نفقة الدولة وأدار شؤونها سنة كاملة.

وفي السنة المذكورة أصدر أيضاً وضيعة باسم (دار السلام)، أبرز عددين منها أحد أدباء النجف في بغداد وأصدرها الأب بعد ذلك في مدة تقارب من أربع سنوات.

وقد شدد عليه النكير الشبان العثمانيين، لأنَّه كان قد سمى مجلته (لغة العرب)، ونشر فيها مقالات يحبب فيها العربية للناس فكان أول من طلبته الحكومة العثمانية في بغداد سنة ١٩١٤ لنفيه إلى قيصارية من بلاد كبدوكية في الأناضول، وبقي هناك ٢٢ شهراً أنزل به العثمانيون في سفره أشد العذاب وكانت نيتهم قتله لكنهم لم ينجحوا في تحقيق أمنيتهم، وفي قيسارية درس التركية، ليتفاهم مع أهاليها وكانوا حسني الأخلاق.

وفي سنة ١٩١٦ عاد إلى بغداد سالماً مع شدة قساوة معاملتهم له.

وفي مدة ٤٠ سنة جمع كتباً خطية ومطبوعة، كلفته نحو: ثمانية آلاف ليرة ذهب وبلغت عدد المجلدات على أنواعها: اثني عشر ألفاً وفي ليلة ٧ آذار سنة ١٩١٧، أتلف الأتراك كل المصنفات وذهبت هباء منثوراً كأنها لم تكن، وكان يقصدها علماء بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء لما كانت تحوي من كنوز آداب العرب ما لا حاجة إلى ذكره وكان قد جمع تلك المصنفات من هدايا الأصدقاء والمنشئين والكتاب ومن أجرة المقالات التي كان يكتبها للغير.

وفي سنة ١٩١٨ عاد إلى مشترى التأليف من مخطوطة ومطبوعة فبلغت المطبوعة نحو ستة آلاف والمخطوطة نحو سبعمائة بين كتاب وسفر ورسالة وكلها تبحث عن العرب وآدابهم وتاريخهم وصلاتهم بغيرهم وهي في لغات متعددة، وقد أصلح كتباً ومقالات ورسائل لكثيرين من أصدقائه ومنهم من يبعث إليه بكتبه من ديار أوربة بل ومن أميركة نفسها كما تشهد عليه الرسائل التي بيده ليتولى تدقيق النظر فيها.

ونقل كتباً خطية عديدة، وتولى إصلاحها في نية أن ينشرها فمنها ما هي عنده إلى الآن ومنها ما نهبها أعداؤه وهم ليسوا بقليلين.

والآن قد عاد إلى تصحيح معاجم اللغة الكبرى وأخذ يعلق على حواشيها الملاحظات الدقيقة حتى إذا مات يتولى بعثها من قبرها أحد محبيه وخريجيه ولو طبعت الآن لبلغت عدة مجلدات، وإن كان اهتمامه بها لا يعدو الأربع سنوات. ومما تولى إصلاحه معجم دوزي[١] فإنَّه عبارة عن بحر أغلاط لا تعد وكذلك إصلاح معجم فربتاغ العربي اللاتيني ففيها من الأغلاط ما لو اتخذ باروداً ناسفاً لهدم الجبال ودكها دكاً.

ورحل إلى أوروبا خمس مرات فزار فرنسة وبلجيكية و إسبانيا وإيطاليا والبرتغال وهولندة وإنكلترا وألمانيا وبافاريا والمجر والنمسا وبلغاريا ورومانيا وتركيا وموناكو، وذهب إلى سورية وديار مصر أربع مرات وفلسطين ثلاثاً ومراكش مرة والأناضول مرتين والهند مرتين وجنوبي فارس مرة وديار عمان مرتين، وتجول في العراق في جهاته الأربع ولاقى في كل صقع حفاوة وإجلالاً.

وقد قدرت الحكومة الفرنسية مباحثه العلمية فأهدته وسام العلم في سنة ١٩٢٠. ومنذ أن احتل البريطانيون ديار العراق عين عضواً في مجلس المعارف فبقي نحو أربع سنوات، وفي سنة ١٩٢١ عينه المجتمع العلمي في دمشق عضواً عاملاً، وما يعقد مجلس أدبي أو علمي في بغداد إلا ويدعى إلى حضوره.

وتولى الوعظ في كنيسة اللاتين في بغداد مدة ٢٨ سنة، وأما التدريس فإنه أخذ به وعمره ١٦ سنة وهو إلى الآن يعمل فيه بدون ملل أو ضجر.

وقد أخرج طلبة عديدة أسماؤهم منهم من بقوا في بغداد ومنهم من ذهبوا إلى ديار الغربة. ومن عمله الكبير الذي لا يفتأ من مزاولته هو تأليف معجم[٢] واسع عربي يحوي

---

(١) سيأتي الكلام عليه في موضعه.

(٢) هو المعجم الضخم الموسوم بـ«المساعد»، وكان الكرملي قد وسمه أولاً بـ«ذيل لسان العرب»، ثم عدل عنه إلى الاسم الثاني، وقد نشرت وزارة الإعلام عام ١٩٧٢ الجزء الأول منه. بتحقيق الأستاذين كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي. وانظر للاستزادة: نظرات سريعة في المعجم المساعد، بقلم عبد الحميد =

ما لم تذكره المعاجم القديمة وقد ورد في كتب السلف، ونقل هذا المعجم إلى لغة أجنبية كالفرنسية أو الإنكليزية. كما أنه يؤلف معجماً آخر يحوي الألفاظ الأعجمية مع ما يقابلها في العربية الفصحى التي منها وضع في عهد الجاهلية، ومنها في العهد العباسي ومنها بعده وذلك خير من وضع ألفاظ جديدة يخترعها أبناء العصر مع أن الأقدمين قد عنوا بوضعها قبل هذا العهد كأسماء النبات والحيوان والحجارة الكريمة وأدوات البيت على اختلافها.

ومما هم بتأليفه معجم معنوي تام أي أنك إذا نقرت على ذلك الديوان عن أي لفظة وردت في كتب متون اللغة تجد فيها ما يتصل بها من الأسماء والأفعال والجمل بدون أن تذهب عنك كلمة واحدة على حد ما فعل (ب. بواسيير P.Bossiere) الفرنسي إذ صنف كتاباً جامعاً لكل كلمة وردت عند الفرنسيين. نعم إن ابن سيدة أنشأ معجماً من هذا القبيل لكنه لم يأتنا إلا خداجاً ففاتت الغاية من وضعه وتنسيقه وكان يجب أن ينظم على الطريقة التي اتخذها بواسيير المذكور.

ومما ألفه ولم يذكر في محله أنه جمع أمثال العوام في بغداد والبصرة والموصل فتقوم منها نحو ألفي مثل وضم إليها حكايات عامية باللغة المألوفة عند نصارى بغداد ويبحث عن اللغات التي دخلت تلك اللهجة وهي كلها ترتقي إلى أصل راق في القدم.

وجمع أيضاً حكايات من ألسن المسلمين من رجال ونساء، وهي تطلع القارئ على الحالة الفكرية في طبقات الناس السافلة، وفيها فوائد جليلة في حفظها وكلها تنم عن حكايات قديمة يتجاذب أطرافها جميع العوام.

= الرشودي، «المورد» المجلد ٢ ص٢٦٢-٢٦٦. وقد أفاد علامة العراق الأستاذ مصطفى جواد في كتابه «المباحث اللغوية في العراق» ص١٢٧ - ١٢٨ عن قصة هذا المعجم بقوله: «ولقد اطلعنا على حقيقة هذا المعجم وهو أن أنستاس عمد إلى نسخة من محيط المحيط تأليف بطرس البستاني ففسخ تجليدها وأقحم بين كل ورقتين منها ورقة بيضاء ثم أعاد تجليدها بإضافة عدة أوراق بيض إلى آخر كل جزء وكتب في الورق الأبيض تصحيح الغلط الذي رآه في محيط المحيط أضاف إليه كلماً جديدة استدركها عليه، وردت في الكتب العربية، وعبارات مولدة أو عامية، وقد جمع فيه الغث والسمين. وفيه فوائد كثيرة تهيأ له جمعها في أزمان متطاولة وفي مصادر مختلفة. وهذا المعجم محفوظ في دير الآباء الكرمليين ببغداد...».

وكان قد حوى عنده أيضاً كتباً جمع فيها فهارس خزائن الكتب الموجودة في العراق، وللأسف مزق هذه المجموعات أيدي الجهلة من الترك وأعداء الآداب العربية، وعني بتصحيح مسودة جزء من كتاب الإكليل لينشره عن قريب.

وكان قد شرع بطبع كتاب العين للخليل، وكان قد أنهى من نشره نحو ١٥٠، صفحة إلاَّ أن الحرب الطاحنة أوقفت هذا الكتاب الفذ، وكان يعلق عليه حواشي لغوية ليبرئ بها مؤلفه اللغوي الكبير.

ومما ألفه في حداثته كتاباً ضخماً في الصرف والنحو مع تمارين عديدة للمدارس، وكان يعلل سبب كل قاعدة ليحفظها الطالب إذا ما عرف العلة التي دفع العرب إلى وضعها، وهذه من الكتب التي سرقت وأتلفت.

ووضع في حداثته كتاباً في المترادفات، وآخر في الأضداد وآخر في أمثال العرب على طريقة مختصرة إلا أنها ذهبت مع ما تلف من كتبه.

والخلاصة أن الأب كتب كثيراً ما خلا مراسلات الأدباء، وكان قد أودعها كتاباً سماه المراسلات المارينية، وهو لا يزال مفقوداً فعسى أن يهتدي واضع يده عليه ويعيده إلى صاحبه والله الموفق. اهـ.

وفاته[١]:

في عام ١٩٤٦ تردت حالته الصحية، بعد أن أصيب بمرض عضال فبادر أصدقاؤه وتلامذته ومحبوه فنقلوه إلى المستشفى محاطاً برعايتهم وعناية الأطباء العراقيين والأجانب.

وفي الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الثلاثاء المصادف السابع من كانون الثاني توفي الكرملي وهو الحادية والثمانين، ونقل جثمانه إلى دير الآباء الكرمليين ببغداد، وصلي عليه في كنيسة الدير، ودفن في الساحة عند باب الكنيسة الغربي، حيث كان في السنوات الأخيرة من عمره يجلس هناك صباح كل يوم من أيام الصيف.

---

(١) «الأب أنستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته» تأليف كوركيس عواد ص٥٩.

الأب أنستاس الكرملي

الكتب المؤلفة عنه[1]

حظي الأب الكرملي بعناية الباحثين والمستشرقين كافة، وهذا يدل على علو منزلته ومكانته العلمية والأدبية بين العلماء والباحثين، ونحن هنا نذكر الكتب فقط التي تناولت حياته أمَّا ما كتب عنه من مقالات ونبذ فقد استوعبها جميعاً الأستاذ كوركيس عواد في كتابه عن الأب الكرملي (الأب أنستاس ماري الكرملي: حياته ومؤلفاته. بغداد ١٩٦٦، ٣٠٤ص المراجعة ص٣٩-٨٥). وكذلك في المقدمة التي وضعها بالاشتراك مع الأستاذ عبد الحميد العلوجي في تحقيقهما لمعجم الأب اللغوي (المساعد) الجزء الأول (ص٥٥-٦٦، بغداد ١٩٧٢). فليُراجع هذين الكتابين، من أراد الوقوف على جميع ما كتب عنه.

الكتب المؤلفة في الأب أنستاس الكرملي:

١. الألوسي (سالم): في ذكرى الكرملي الراهب العلامة (مطبعة الجمهورية ـ بغداد ١٩٧٠، ٦٧ص).
٢. جبوري (جورج): الكرملي الخالد (المطبعة الملوكية ـ بغداد ١٩٤٧، ١١٨ص).
٣. خير الله (أمين ظاهر):البرهان الجلي على علم الكرملي (مطبعة ابن زيدون ـ دمشق ١٩٣٤، ٨٠ص).
٤. رحماني (حكمت): الرسائل المتبادلة بين الأب أنستاس الكرملي وشيخ العروبة أحمد زكي باشا.

---

(١) هذا المبحث والذي يليه استكمالاً لما ذكره الباحث حكمت رحماني.

٥. السامرائي (الدكتور إبراهيم): الأب أنستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية (مطبعة المعرفة ـ القاهرة ١٩٦٩، ٢٣٥ص).

٦. السامرائي (عامر رشيد): الأب أنستاس ماري الكرملي (مطبعة الجمهورية ـ بغداد ١٩٧٠، ١٨ص).

٧. العزيزي (روكس بن زائد): سدنة التراث القومي (مطبعة الآباء الفرنسيين القدس ١٩٤٦، ١٧٦ص).

٨. العطية (جليل): الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور (بالاشتراك مع كوركيس عواد وميخائيل عواد) مطبعة الحكومة ـ بغداد ١٩٧٤، ٢٩٥ص.

٩. عواد (كوركيس): الأب أنستاس ماري الكرملي: حياته ومؤلفاته (مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٦، ٣٠٤ص).

١٠. عواد (كوركيس وميخائيل): رسائل أحمد تيمور إلى الأب أنستاس ماري الكرملي (مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٤٧، ١٦١ص).

١١. عواد (كوركيس وميخائيل): الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور (مطبعة الحكومة ـ بغداد ١٩٧٤، ٢٩٥ص).



مؤلفات الأب
أنستاس ماري الكرملي

للأب أنستاس مؤلفات عديدة زادت على الستين، طبع ما يقارب النصف منها، والنصف الباقي بقي موزعاً في عدة مكتبات منها: مكتبة المتحف العراقي ببغداد، ومكتبة دير الآباء الكرمليين، ومكاتب أخرى. ونذكر هنا مؤلفاته المطبوعة فقط فهي في جملتها مجموعة غنية في اللغة والتاريخ والأدب والبلدان، فهي تنطق بما قدمه هذا العالم الجليل من خدمات جليلة لأبناء العرب في مختلف أقطارهم وأمصارهم.

مؤلفات الأب أنستاس ماري الكرملي مرتبة حسب السياق الهجائي:

١- أخص فروض الرهبان الثالثيين الكرمليين [ترجمة]. (لبنان ١٩٣٨).

٢- أرض النهرين: تأليف أرون بفن. [ترجمة]. (نشره حكمت توماشي. بغداد ١٩٦١).

٣- أغلاط اللغويين الأقدمين. (بغداد ١٩٣٣).

٤- الإكليل: للهمداني. [تحقيق]. (جـ٨: بغداد ١٩٣١).

٥- بلوغ المرام في شرح مسلك الختام في من تولى مُلك اليمن من ملك وإمام: لحسين ابن أحمد العرشي. [تحقيق]. (القاهرة ١٩٣٩).

٦- تذكرة الشعراء، أو شعراء بغداد وكتابها في أيام وزارة المرحوم داوود باشا والي بغداد: لعبد القادر الخطيبي الشهراباني. [تحقيق]. (بغداد ١٩٣٦).

٧- ترجمة حياة الأب مارية يوسف، رئيس الرسالة الكرملية في بغداد من سنة ١٨٥٨ إلى سنة ١٨٩٨، تأليف الأب بطرس الأسباني. [ترجمة]. (بغداد ١٩٢٨).

٨- التعبد ليسوع طفل براغ. [بغداد ١٩١١].

٩- خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا (البصرة ١٩١٩).

١٠- خواطر الأخت ماري ليسوع المصلوب: للأب دنيس بوزي. [ترجمة]. (بغداد. ط١: ١٩٢٦. ط ٢: ١٩٣٦).

١١- رسالة في الكتابة العربية المنقحة. (بغداد ١٩٣٥).

١٢- سورة الخيل التي نزلت في بغداد. [تحقيق].(١٩١١).

١٣- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي. [تحقيق]. نشر قطعة منه في ١٤٤ص. (بغداد ١٩١٤).

١٤- الفوز بالمراد في تاريخ بغداد. (بغداد ١٩١١). نشر بتوقيع (ساتسنا) وهو مقلوب اسم (أنستاس).

١٥- الكلم الأخيرة، وهي المحادثات الأخيرة التي فاهت بها القديسة تريزة للطفل يسوع. [ترجمة]. (بيروت ١٩٣٦).

١٦- الكوفية والعقال. (القاهرة ١٩٤١). (مستل).

١٧- لذكرى الملك فيصل الأول: خطاب. (بغداد ١٩٣٣).

١٨- مبادئ أصول الديانة المسيحية لصغار الأولاد. [ترجمة]. (بغداد ١٩١٧).

١٩- مرشد الرهبان الثالثيين. [ترجمة]. (بغداد ١٩٢٥).

٢٠- (معجم لغوي)، (جـ١ بغداد ١٩٧٢). تحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي.

٢١- مناظرة لغوية أدبية، عبد الله البستاني، وعبد القادر المغربي، وأنستاس الكرملي. (القاهرة ١٣٥٥هـ-١٩٢٦م).

٢٢- نخب الذخائر في أحوال الجواهر: لابن الأكفاني النجاري. [تحقيق]. (القاهرة ١٩٣٩).

٢٣- نخبة من كتاب العروج في درج الكمال والخروج من دراء الغسلال [نشر]. (بيروت ١٩٠٨).

٢٤- نشوة اللغة العربية ونموها وإكمالها (القاهرة ١٩٣٨).

٢٥- النقود العربية وعلم النميات. (القاهرة ١٩٣٨).

٢٦- Le culte rendn par les Musulmans aux sandals de Mahomet. (wien. ١٩١٠)

٢٧- La deconverte recent des deux livres sacres des Yezidis. (wien , ١٩١١)

٢٨- Les Racusiens , Cypriens , Maronites ou Monothelites. (wien ١٩٠٧)

٢٩- La tribu des soleib. Traduit de larabe par: Etienne soubre. (paeis ١٩٠١)

ترجمة الأستاذ العلَّامة
عبد السلام محمد هارون[1]

ولد عبد السلام هارون في مدينة الإسكندرية في (٢٥ ذي الحجة ١٣٢٦هـ الموافق ١٨ يناير ١٩٠٩م)، ونشأ في بيت كريم من بيوت العلم، فجده لأبيه هو الشيخ هارون بن عبد الرازق عضو جماعة كبار العلماء، وأبوه هو الشيخ محمد بن هارون كان يتولى عند وفاته منصب رئيس التفتيش الشرعي في وزارة الحقانية (العدل)، وعمه هو الشيخ أحمد ابن هارون الذي يرجع إليه الفضل في إصلاح المحاكم الشرعية ووضع لوائحها، أما جده لأمه فهو الشيخ محمود بن رضوان الجزيري عضو المحكمة العليا.

عني أبوه بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة،

---

(١) كتب هذه الترجمة الأستاذ أحمد تمام ـ رحمه الله تعالى ـ وقد كانت من أواخر ما كتبه من تراجم الأعلام، وكان قد كتب ترجمةً للكرملي بعنوان «أنستاس الكرملي.. في معبد العربية» وقد رأيتُ أن أعرف بهذا الباحث عرفاناً له وتقديراً لجهوده التي قدمها.

ولد رحمه الله في (٩ من جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ =٢٠ من ديسمبر ١٩٥٨م) في مدينة طنطا بمحافظة الغربية بمصر، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة طنطا سنة (١٤٠١هـ = ١٩٨١م)، فالتحق بكلية دار العلوم سنة (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م) فحصل منها على درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م)، ثم حصَّل درجة الماجستير في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية سنة (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م) وكانت رسالته بعنوان «التأليف التاريخي والحضاري في مصر في زمن المماليك البحرية (٦٤٨هـ-٧٨٤هـ)»، والتي أثارت إعجاب المتخصصين في التاريخ، الذين أكدوا على سعة اطلاعه وعمق بحثه التاريخي. عمل محرراً لدائرة المعارف الإسلامية، وترجم لعددٍ كبير من الأعلام، وألف عدداً من الكتب، وحرر مقالاتٍ كثيرة في صفحة حدث في مثل هذا اليوم في موقع الإسلام أون لاين. توفي رحمه الله إثر نوبة قلبية صبيحة يوم الجمعة (٢١ من ربيع الآخر ١٤٢٧هـ = ١٩ من مايو ٢٠٠٦م).

والتحق بالأزهر سنة (١٣٤٠ هـ = ١٩٢١م) حيث درس العلوم الدينية والعربية، ثم التحق في سنة (١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م) بتجهيزية دار العلوم بعد اجتيازه مسابقة للالتحاق بها، وكانت هذه التجهيزية تعد الطلبة للالتحاق بمدرسة دار العلوم، وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة (١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م) ثم أتم دراسته بدار العلوم العليا، وتخرج فيها سنة (١٣٥١هـ = ١٩٤٥م).

الوظائف العلمية:

بعد تخرجه عمل مدرساً بالتعليم الابتدائي، ثم عُيّن في سنة (١٣٦٥هـ = ١٩٤٥م) مدرساً بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وهذه هي المرة الوحيدة في تاريخ الجامعات التي ينتقل فيها مدرس من التعليم الابتدائي إلى السلك الجامعي، بعد أن ذاعت شهرته في تحقيق التراث، ثم عُيّن في سنة (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠م) أستاذاً مساعداً بكلية دار العلوم، ثم أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم النحو بها سنة (١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م) ثم دعي مع نخبة من الأساتذة المصريين في سنة (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) لإنشاء جامعة الكويت، وتولى هو رئاسة قسم اللغة العربية وقسم الدراسات العليا حتى سنة (١٣٩٤هـ = ١٩٧٥م)، وفي أثناء ذلك اختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م).

النشاط العلمي:

بدأ عبد السلام هارون نشاطه العلمي منذ وقت مبكر، فحقق وهو في السادسة عشرة من عمره كتاب «متن أبي شجاع» بضبطه وتصحيحه ومراجعته في سنة (١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م)، ثم حقق الجزء الأول من كتاب «خزانة الأدب» للبغدادي سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م)، ثم أكمل أربعة أجزاء من الخزانة وهو طالب بدار العلوم.

كانت هذه البدايات تشير إلى الاتجاه الذي سيسلكه هذا الطالب النابه، وتظهر تعلقه بنشر التراث، وصبره وجلده على تحمل مشاق المراجعة والتحقيق، وبعد تخرجه في دار

العلوم اتجه إلى النشر المنظم، فلا تكاد تخلو سنة من كتاب جديد يحققه أو دراسة ينشرها. ولنبوغه في هذا الفن اختاره الدكتور طه حسين (١٣٦٣هـ = ١٩٤٣م) ليكون عضواً بلجنة إحياء تراث أبي العلاء المعري مع الأساتذة: مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، وقد أخرجت هذه اللجنة في أول عهدها مجلداً ضخماً بعنوان: «تعريف القدماء بأبي العلاء»، أعقبته بخمسة مجلدات من شروح ديوان «سقط الزند».

وتدور آثاره العلمية في التحقيق حول العناية بنشر كتب الجاحظ، وإخراج المعاجم اللغوية، والكتب النحوية، وكتب الأدب، والمختارات الشعرية.

أما كتب الجاحظ ـ أمير البيان العربي ـ فقد عني بها عبد السلام هارون عناية فائقة، فأخرج كتاب «الحيوان» في ثمانية مجلدات، ونال عن تحقيقه جائزة مجمع اللغة العربية سنة (١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م)، وكتاب البيان والتبيين في أربعة أجزاء، وكتاب «البرصان والعرجان والعميان والحولان» و«رسائل الجاحظ» في أربعة أجزاء، وكتاب «العثمانية».

وأخرج من المعاجم اللغوية: معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس في ستة أجزاء، واشترك مع أحمد عبد الغفور العطّار في تحقيق «صحاح العربية» للجوهري في ستة مجلدات، و«تهذيب الصحاح» للزنجاني في ثلاثة مجلدات، وحقق جزأين من معجم «تهذيب اللغة» للأزهري، وأسند إليه مجمع اللغة العربية الإشراف على طبع «المعجم الوسيط».

حقق من كتب النحو واللغة كتاب سيبويه في خمسة أجزاء، وخزانة الأدب للبغدادي في ثلاثة عشر مجلداً، ومجالس ثعلب في جزأين، وأمالي الزجاجي، ومجالس العلماء للزجاجي أيضاً، والاشتقاق لابن دريد. وحقق من كتب الأدب والمختارات الشعرية: الأصمعيات، والمفضليات بالاشتراك مع العلامة أحمد شاكر، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي مع الأستاذ أحمد أمين، وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري، والمجلد الخامس عشر من كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني.

وحقق من كتب التاريخ: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم، وكان من نتيجة معاناته وتجاربه في التعامل مع النصوص المخطوطة ونشرها أن نشر كتاباً في فن التحقيق بعنوان: «تحقيق النصوص ونشرها» سنة (١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م)، فكان أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته، ثم تتابعت بعد ذلك الكتب التي تعالج هذا الموضوع، مثل كتاب: مقدمة في المنهج للدكتورة بنت الشاطئ، ومنهج تحقيق النصوص ونشرها لنوري حمودي القيسي وسامي مكي العاني، وتحقيق التراث العربي لعبد المجيد دياب.

أما عن مؤلفاته فله: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، والميسر والأزلام، والتراث العربي، وحول ديوان البحتري، وتحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب، وقواعد الإملاء، وكناشة النوادر، ومعجم شواهد العربية، ومعجم مقيدات ابن خلكان.

وعمد إلى بعض الكتب الأصول فهذّبها ويسرها، من ذلك: تهذيب سيرة ابن هشام، وتهذيب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والألف المختارة من صحيح البخاري، كما صنع فهارس لمعجم تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري في مجلد ضخم.

خلاصة القول أن ما أخرجه للناس من آثار سواء أكانت من تحقيقه أو من تأليفه تجاوزت ١١٥ كتاباً، وقد توج عبد السلام هارون حياته بأن نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي سنة (١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م)، وانتخبه مجلس مجمع اللغة العربية أمينا عاماً له في (٣ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ = ٧ يناير ١٩٨٤م)، واختاره مجمع اللغة العربية الأردني عضو شرف به. ظل الشيخ يعمل في خدمة التراث في صبر وجلد ينجز بهما الأعمال العلمية المضنية على اختلاف مناحيها وكثرة تشعبها، تمده ثقافة عربية واسعة، وبصر بالتراث، ونفس وثابة، وروح إسلامية عارمة تستهدف إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث العربي، وتكشف عن نواحي الجلال فيه.

إلى جانب هذا النشاط في عالم التحقيق كان الأستاذ عبد السلام هارون أستاذاً جامعياً متمكناً، تعرفه الجامعات العربية أستاذاً محاضراً ومشرفاً ومناقشاً لكثير من الرسائل العلمية التي تزيد عن ٨٠ رسالة للماجستير والدكتوراه.

الإنتاج العلمي:

١- صفة الصفوة، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، صنع فهرسه.

٢- المخصص للإمام ابن سيده اللغوي، صنع فهرسه.

٣- تحقيق النصوص ونشرها: أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته، تأليف.

٤- قطوف أدبية: دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، تأليف.

٥- بحوث في اللغة والأدب، عبد السلام هارون... [وآخ]؛ إعداد وإشراف سهام الفريح.

٦- تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب، تأليف.

٧- تهذيب سيرة ابن هشام، تأليف.

٨- معجم مقيدات ابن خلكان، تأليف.

٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي؛ تحقيق وشرح.

١٠- كناشة النوادر، تأليف عبد السلام محمد هارون.

١١- البيان والتبيين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ؛ تحقيق وشرح.

١٢- مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي؛ تحقيق.

١٣- المصون في الأدب، تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون.

١٤- المفضليات، المفضل بن محمد، المعروف بالمفضل الضبي؛ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون.

١٥- تهذيب كتاب الحيوان، تأليف.

١٦- كتاب سيبويه، تحقيق وشرح.

١٧- البرصان والعرجان والعميان والحولان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ؛ تحقيق وشرح.

١٨- نهج البلاغة: دراسة لغوية توثيقية معجمية نحوية صرفية، إعداد صبري إبراهيم السيد محمد؛ إشراف عبد العزيز مطر، عبد السلام هارون.

١٩- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق وتعليق.

٢٠- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون.

٢١- وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري؛ تحقيق وشرح.

٢٢- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا؛ تحقيق وضبط.

٢٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عبد العال سالم مكرم.

٢٤- تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب، تأليف.

٢٥- الألف المختارة من صحيح البخاري، اختيار وشرح.

٢٦- التراث العربي، عبد السلام هارون.

٢٧- الكتاب: كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح.

٢٨- الأصمعيات، اختيار الأصمعي؛ تحقيق وشرح بالاشتراك مع أحمد محمد شاكر.

٢٩- قواعد الإملاء، تأليف.

٣٠- نوادر المخطوطات، تحقيق.

٣١- أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية، نصر الدين أحمد منوفي؛ إشراف عبد السلام هارون.

٣٢- معجم شواهد العربية، تأليف.

٣٣- أبو البقاء العكبري وأثره في الدراسات النحوية: بحث في النحو، محمد فؤاد علي الدين؛ إشراف عبد السلام هارون.

٣٤- العدد في اللغة العربية، إعداد مصطفى النحاس محمد عبد المطلب زهران؛ إشراف عبد السلام محمد هارون.

٣٥- ابن معطي وآراؤه النحوية مع تحقيق كتابه: «الفصول الخمسون»، إعداد محمود محمد علي الطناحي؛ إشراف عبد السلام محمد هارون.

٣٦- الأساليب المعاصرة في ضوء النحو والصرف، إعداد أحمد محمود الهرميل؛ إشراف عبد السلام هارون.

٣٧- المقرب في النحو، لابن عصفور الإشبيلي؛ دراسة وتحقيق يعقوب يوسف الغنيم؛ بإشراف عبد السلام محمد هارون.

٣٨- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ؛ تحقيق وشرح.

٣٩- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد ابن القاسم الأنباري؛ تحقيق وتعليق.

٤٠- الميسر والأزلام: دراسة تاريخية اجتماعية أدبية ودعوة إلى إصلاح اجتماعي، عبد السلام محمد هارون.

٤١- جار الله الزمخشري وأثره في الدراسات النحوية، عبد الرحمن محمد شاهين؛ بإشراف عبد السلام محمد هارون.

٤٢- ظاهرة التنوين في اللغة العربية، عوض المرسي جهاوي؛ إشراف عبد السلام محمد هارون.

٤٣- شرح ديوان الحماسة، لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي؛ نشره بالاشتراك مع أحمد أمين.

٤٤- الفعل في كتاب سيبويه في ضوء النحو، عفاف محمد محمد حسانين، إشراف عبد السلام هارون.

٤٥- ابن الحاجب وأثره في الدراسات الصرفية، عبد القادر عبد السيد سيد أحمد أبو سليم؛ بإشراف عبد السلام هارون.

٤٦- مناهج البحث عند النحاة العرب، علي محمد أبو المكارم؛ بإشراف عبد السلام هارون.

٤٧- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم علي أحمد مكرم؛ بإشراف عبد السلام هارون.

٤٨- الحذف والتقدير في النحو العربي، علي محمد أبو المكارم؛ بإشراف عبد السلام هارون.

٤٩- حول ديوان البحتري: دراسة نقدية أدبية لغوية، تأليف.

٥٠- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري؛ تحقيق وتعليق.

٥١- أمالي الزجاجي، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي؛ تحقيق وشرح.

٥٢- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب؛ شرح وتحقيق.

٥٣- الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد؛ تحقيق وشرح.

٥٤- إصلاح المنطق، لابن السكيت؛ شرح وتحقيق بالاشتراك مع أحمد محمد شاكر.

٥٥- العثمانية، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ؛ تحقيق وشرح.

٥٦- همزيات أبي تمام، شرح وتحقيق.

٥٧- أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى...، عرام بن الأصبغ السلمي؛ تحقيق.

٥٨- تهذيب الصحاح، تأليف محمود بن أحمد الزنجاني؛ تحقيق بالاشتراك مع أحمد عبد الغفور عطار.

٥٩- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري؛ حققه وقدم له بالاشتراك.

٦٠- تهذيب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، تأليف.

٦١- تهذيب الحيوان للجاحظ، تأليف.

٦٢- كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء، صنعه محمد بن حبيب؛ رواية عثمان بن جني؛ تحقيق.

٦٣- نوادر المخطوطات، ٥- ٦، تحقيق.

٦٤- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح.

وفاته:

توفي عبد السلام هارون في (٢٨ من شعبان ١٤٠٨هـ = ١٦ من إبريل ١٩٨٨م) بعد حياة علمية حافلة، وخدمة للتراث جليلة، وبعد وفاته أصدرت جامعة الكويت كتاباً عنه بعنوان: «الأستاذ عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً» .

من مصادر الدراسة:

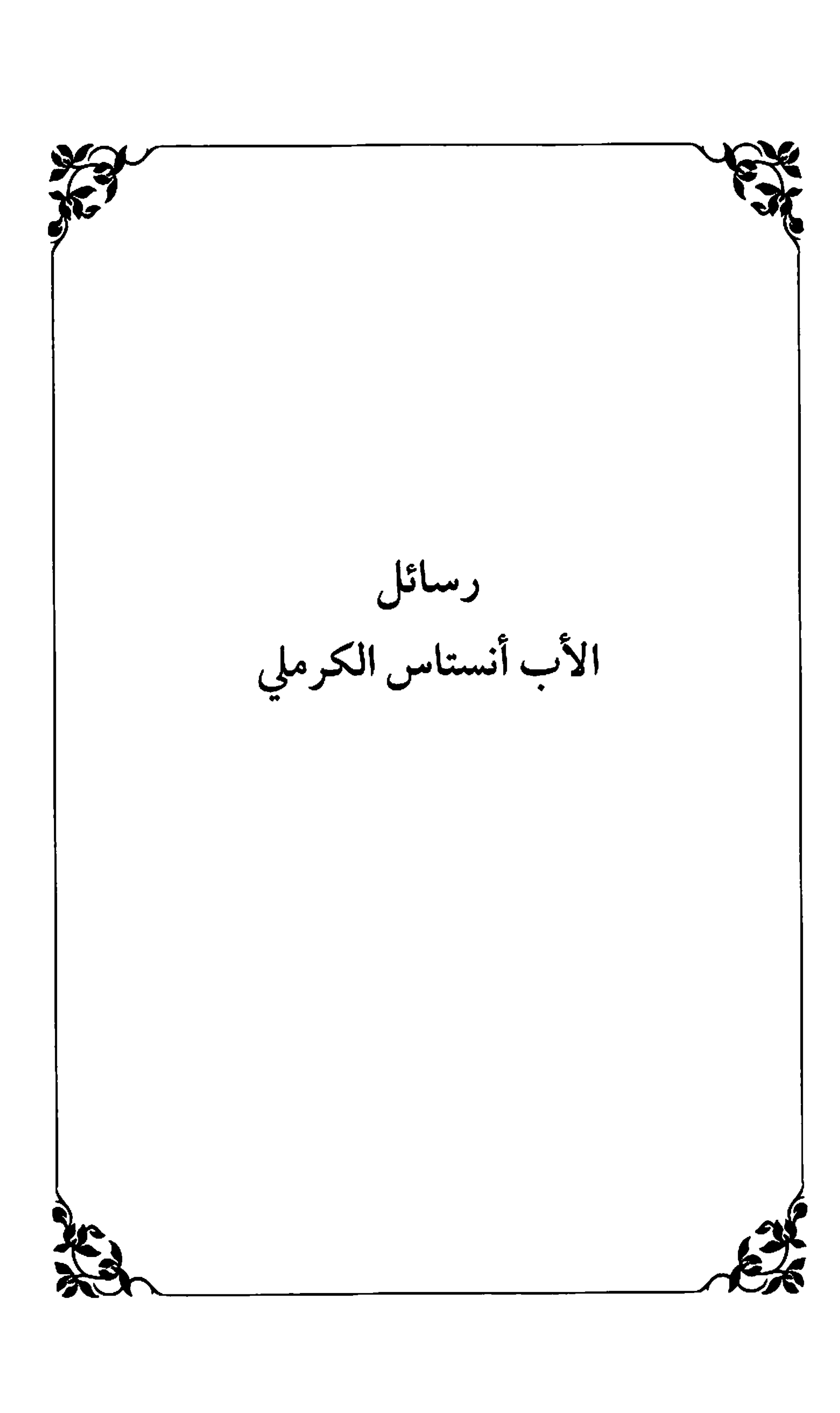
محمد مهدي: المجمعيون في خمسين عاماً ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ القاهرة (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ (١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م).

محمد خير رمضان يوسف: تتمة الأعلام للزركلي ـ دار ابن حزم ـ (١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).

محمد محيي الدين عبد الحميد: كلمة في استقبال عبد السلام هارون ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ العدد (٢٥) ـ القاهرة ـ (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م).

السيد الجميلي: الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام ـ مجلة الأزهر ـ الجزء العاشر ـ السنة الثامنة والستون ـ (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).



رسائل

الأب أنستاس الكرملي

الرسالة الأولى[1]

بلغني كتابك (الجزء الرابع من كتاب الحيوان) مع رسالتك الكريمة، فدهشت مما رأيت ووقفت عليه، إذ رأيتك تسعى سعياً حثيثاً في التحقيق والإمعان فيه، على وجهٍ لا يقاربك فيه أحد من المشتغلين بمثل من أبناء هذا الشرق الأدنى، فأهنئك بهذا الفوز العظيم المبين، وبالقصبة التي انتزعتها في حلبتك وأنت بهذا الإهاب الغض.

والإنسان ـ مهما بلغ من التفوق في الدراية والعرفان ـ يحتاج إلى الإيغال في ذلك التفوّق، لأنَّ آفاق العلم تمتد وتتسع بقدر ما يُمعَن في مناحيها. وأنا أبوّب ملاحظاتي أبواباً على الأوجه الآتية:

١ ـ أغلاط الطبع:

ـ ورد في ص٢٠٦ س٥ ما يصلح بهذا الوجه: وعفًّى عليها ـ وفي ٢٥٦: ٩ من جُحره ـ و٢٥٢: ٣ أزْقم ـ و١٣٥: ٢٥ والرُهَا أو الرهاء، وتسمى اليوم أُرفَا، والترك يكتبون خطأً أُورفَا.

ـ ٣٧٨ الألاعيب - ٣٣٧: ش٢ راجزاً من ساكني ـ ٤٣٥ الحجاج ـ ٤٢٤ ساطِع الغُبَار- ٢٤٦ الدِّهَان. ـ ٢٨: ١٣ بهامش ـ ٨٩ ـ ٩ أصحاب ابن النواحة (راجع ص٣٧٨: ٩) ـ ٤٠٣ قَـلَى مكانه، لأنَّه كرَمَى.

---

(١) نشرت هذه الرسالة في مجلة «الثقافة» العدد ٩٥ الصادر بتاريخ ٢٠ رمضان ١٣٥٩ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ (٣٧-٣٩).

٢ ـ أغلاط الضبط:

١٠١ الأسبور، وفيها لغات قديمة: الأشبور بالشين المعجمة، والصبور بالصاد، والأصبُور وهي اللغة الشائعة اليوم في البصرة. وراجع ما كتبناه في المشرق ٢: ٧٢٩.

ـ التَرَستُوج: الأصل فيها الطرستوج بالطاء كما في البرهان القاطع[١]، وهو معجم فارسي ونُقِل إلى التركية أيضاً، ويسمَّى بالتركية (تكور بالغي)، وسماه ابن البيطار الطرستوج، وفي نسخة الترستوج بالتاء المثناة الفَوقِيَّة، وفي نسخة أخرى سرستوج، وباليونانية طريغلا Trigla، ووردت مطبوعة طريفلا بالفاء وهو غلط، وبعجمية الأندلس الـمُل، والصواب الـمُول، وصحفت الكلمة تصحيفاتٍ عدة مختلفة، ففي محيط المحيط[٢]

---

(١) قال آغا بزرك الطهراني في كتابه «الذريعة» (٣: ٩٨-٩٩): «برهان قاطع» فارسي في اللغات الفارسية البهلوية وبعض اللغات التركية، للأديب الشاعر محمد حسين بن خلف التبريزي الملقب في شعره بـ«برهان»، ألفه باسم السلطان عبد الله قطب شاه الذي توفي سنة ١٠٨٣، وفرغ منه سنة ١٠٦٢ وهو مرتب على تسع فوائد، ثم تسعة وعشرين كفتاراً بعدد الحروف، طبع بإيران مرة سنة ١٢٥٩، وأخرى سنة ١٣٠٥. وانظر: «العقد المنير» للمازندراني: ٣٦٩، و«موسوعة مؤلفي الإمامية» (٢: ٢٥)، و«أعيان الشيعة» (٩: ٢٥١).

(٢) «مُحيط الـمُحيط» قاموسٌ عَصْرِيٌّ في اللُّغَة العربيّة، طَبَعَهُ البستاني في مُـجَلَّدين كبيرين في بيروت سنة ١٨٧٠، ورَفَعَه إلى السُّلطانِ العُثْمانيّ، فنال عليه «الوِسام الـمَجيديَّ الثَّالِث». رَتَّبهُ على حُروف المُعجم باعتبار الحرف الأوَّل منَ الثُّلاثيِّ المُجَرَّد؛ وجَمَع فيه كثيراً من مُصْطَلَحات العُلوم والفُنون، سواءٌ منها القاموسِيَّةُ أم الـمُعَرَّبَةُ؛ وشرَح أُصولَ بعض الألفاظ الأجنبية؛ وجمَع كثيراً منَ الألفاظ العامية الحيّة وفَسَّرها؛ واعتمد الـمَعاجمَ القديمة الـمَوْثوقة؛ واستَخدم العِبارة البسيطة . قامت «مكتبة لبنان» بإعادة طَبْع الـمُعْجم بِمُجلَّدَيْه، ثمّ جددتْ طَبْعَه سنة ١٩٧٧في مُجلَّدٍ واحِدٍ، وصَحَّحتِ الأخطاء الطِّباعيَّة، ومَيَّزَتِ الـمَداخِلَ الجذْرِية والرئيسيَّةَ بِلَوْنٍ مُـخْتَلِفٍ، ممّا يُساعِدُ على سُهولة اسْتِعمالِ المُعجَم. ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات حديثة. انظر «المعاجم اللغوية» ص١٩٧-١٩٩ للدكتور إبراهيم محمد نجا، و«محيط المحيط» مقالة بقلم ألبير مطلق الأستاذ في الجامعة اللبنانية، و«محيط المحيط» للمعلم بطرس البُستاني وانطلاقة المعجمية في العالم العربي لبسام بركة الأستاذ بالجامعة اللبنانية مقال منشور في جريدة الحياة السبت ٢٧/ ١١/ ١٤٣٠هـ.

للبستاني[١] بَرشتُوك، وقد نقلها عن فريتغ[٢] الألماني ولم ينبه عليه كما هي مألوف عادته.

وقال الغافقي[٣]: الطَرَستُوج ويقال: تَرَستُوج (وراجع معجم دوزي[٤] في ترستوج).

---

(١) وُلِدَ المُعَلِّم بُطْرُس بن بُولَس البُسْتَاني سنةَ ١٨١٩ في قَرْية الدِبِّيَة في لُبنان، وتَلقَّى عُلومَه في مدرسةِ عين وَرَقة، كُبْرى مدارسِ ذلك العَهْد. وهناك تَعَلَّم العربيَّة والسّريانيّة واللاتينيّة والإيطاليّة والفلسفة واللاّهوت والشَّرع الكنسيّ، ودرس الإنكليزيّة على نفْسه. في عام ١٨٤٠ وَفَدَ إلى بيروت واتَّصل ببعض المُرَسلين الأميركيّين، يعلِّمُهم العربيَّةَ ويعرِّبُ لهم الكتبَ، ومنذ ذلك الوقت نشأتْ بينه وبين كُرْنيلْيوس فانْدايْك، أحدِ مؤسِّسي «الكلّيّة السوريّة الإنجيليّة» في بيروت الجامعة الأمريكيّة، صداقةٌ امتدَّتْ طَوالَ العُمْر، وكان لها أثرٌ على الرَّجُلين. بعد عام ١٨٤٨ وسَّع البُسْتاني مَعارفَه بدراسة اللّغَتينِ اليونانيَّةِ والعبرانّيةِ. واشترَكَ مع عالي سْميث في ترجمة الكتاب المقدَّس إلى العربيّة، وهي التَرجمة التي أتَمَّها فيها بعدُ كُرْنسلْيوس فانْدايْك، وعُرِفَتْ بالأميركانيّة. بعد ١٨٦٠ أنشأ جريدةَ «نفير سورية»، ثم أَسَّس سنةَ ١٨٦٣ «المدرسة الوطنيّة» الشهيرة، أنشأ سنةَ ١٨٧٠ مجلّةً سياسيَّةً علميَّةً أدبيَّةً تاريخيَّةً أسماها «الجِنان»، كما أنشأ في العامِ نفسه صحيفةً سياسيَّة تجاريَّةً أدبيَّةً أسبوعيَّةً، أسماها «الـجَنَّة». وكذلك أنشأَ، سنةَ ١٨٧١، بِمُساعدةِ ابْنِه سَليم، صَحيفَةً سياسيَّةً تجاريَّةً يوميَّةً أسماها «الـجُنَيْنَة». انظر: «الأعلام» (٢: ٥٨)، و«معجم المؤلفين» (٣: ٤٨).

(٢) فرَيْتاخ (١٢٠٢-١٢٧٨هـ = ١٧٨٨-١٨٦١م) Freytag Georg Wilhelm: مستشرق ألماني. ولد في لونبرغ Luneberg وتتلمذ باللغات الشرقية للمستشرق دي ساسيباريس، فتعلم العربية والتركية والفارسية، وعُين أستاذاً للغات الشرقية في بون Bonn له «قاموس عربي لاتيني - ط»، أربعة أجزاء، و«منتخبات عربية في النحو والتاريخ - ط»، ونشر قطعة من «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، لابن العديم، و«ديوان الحماسة» لأبي تمام، و«فاكهة الخلفاء» لابن عربشاه، و«معجم البلدان» لياقوت. انظر: «المستشرقون» (٢: ٣٥٨)، «الأعلام» (٢: ١٤٩).

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقي: إمامٌ فاضل، وحكيم عالم ويعد من الأكابر في الأندلس، من علماء القرن السادس الهجري، اشتهر بمعرفته الجيدة بالنباتات، ووصفها في كتبه أحسن وصف، وكان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة، ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة أسمائها، وكتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه. انظر: «عيون الأنباء» (٢: ٥٢)، «الأعلام» (١: ٢١٥).

(٤) «تكملة المعاجم العربية» ومؤلفه هو: المستشرق الهولندي رينهارت بيتر آن دوزي، من أسرة فرنسية الأصل بروتستانية، ولد في ليدن عام ١٨٢٠ (١٢٣٥هـ)، تعلم مبادىء العربية ثم واصل دراستها =

ووردت في كتاب البلدان[1] لابن الفقيه طبع أوربة ١٠ بَرَستوج. وفي حياة الحيوان طرستوج أو طرسوج وراجع ما كتبتُهُ في المشرق قبل ٤٢ سنة، أي في المشرق ١:٤٤١، وفي معجم كتب البلدان لابن الفقيه بحث دقيق نفيس في اسم هذا السمك، فليراجع فإنَّه لا يَستغنِي عنه الباحث المتروّي في ما يكتب.

= في جامعة ليدن، وحبب إليه أستاذه فايرس التعمق في دراستها، فاز بجائزة جامعة ليدن لبحث ألفه في ملابس العرب، تزوج هولندية في عام ١٨٤٤، ورحل معها إلى ألمانيا وقضى أيام زواجه الأولى في مكتباتها، حيث عثر على الجزء الثالث من كتاب الذخيرة لابن بسام، وكان قد دُوّن في الفهرس أنه من تأليف المقرئ فاستأذن في حمله إلى ليدن، رحل في العام نفسه إلى إنجلترا فنسخ الجزء الثاني من الذخيرة ومخطوطات أخرى من مكتبة أكسفورد، وتعرف بعدد من المستشرقين فيها، وعُين أستاذاً لإدارة المخطوطات في مكتبة ليدن. له مؤلفاتٌ عدة ومقالات وتحقيقات (انظر مقدمة المعجم للأستاذ محمد سليم النعيمي ـ طبعة دار الرشيد للنشر ـ وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٠، و«موسوعة المستشرقين» لعبد الرحمن بدوي ص٢٥٩-٢٦٣)، وقد ترجم الأستاذ أكرم فاضل مقالاً لدوزي عن «تكملة المعاجم العربية» نُشر في مجلة «المورد»: (٢: ٢٥٣-٢٦١).

(١) كتاب «البلدان» لأحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني الشهير بابن الفقيه، طبع الكتاب ضمن منشورات مكتبة المثنى عن طبعة ليدن ١٨٨٥م، وقد ضاع معظمه، ولم يُعثر إلَّا على نسخة مختصرة قام بإعدادها علي بن جعفر الشيرازي عام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، وقد نشر أحمد زكي الوليدي ملخصاً عنه ضمن الجزء الخاص من المكتبة الجغرافية التي جمعها دي خويه في ليدن في هولندا عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، كما أشار كراتشكوفسكي («تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب»، ترجمة صلاح الدين هاشم، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧) إلى أنه اكتشف مخطوطة في مدينة مشهد تحوي الجزء الثاني من المسودة الكبرى لكتابه، ويورد فيها معلومات قيمة عن تركستان والقوقاز، وقد تميز الكتاب بأن المؤلف تناول فيه العلوم الجغرافية بأسلوب أدبي سلس، واحتوى على بعض المقطوعات الشعرية، وقد اعتمد عليه عددٌ من كبار المؤلفين الذين جاءوا من بعده من أمثال المسعودي، والمقدسي البشاري، وياقوت الحموي وغيرهم من علماء العرب والمسلمين المتخصصين في العلوم الجغرافية في مؤلفاتهم. انظر ما كتبه الأستاذ عبد الله محمود حسين ـ «الموسوعة العربية» ـ (١٤: ٦٠٢-٦٠٤).

١٠٢ والبرد: ليس بالبزّ لعدم وجودهِ البتة في البصرة لأنَّه ليس من القواطع. والصواب: البَرْزَم لوجودهِ في نهر البصرة، ومعروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا وإنْ لم تذكرهُ كُتُب القوم، والبَرْزَم من السمك القواطع.

١٠٣ : ١٢ تشرين: اختلف اللغويون في ضبطه، فمنهم من فتح الأول لاعتبارهم إياها على وزن تفعيل من المصادر العربية، ومنهم من كسرها كما في محيط المحيط ولسان العرب[١] (في تشر)، وفي القاموس[٢]: تشرين بالكسر، اسم شهر بالرومية (كذا. والكلمة إرَمية)، وهما «تشرينان» وكذلك في التهذيب[٣] للأزهري، فالكسر أشهر من الفتح.

- وفي ١٠٦ : ٩ الخُلد.

- وفي ١٢٩ مارماهي، ضَبطُهَا بكسر الراء كما في معجم بالمر خطأ، والفرس جميعهم ضبطوها بإسكان الراء وهي من (مار) أي حَيَّة، و(ما هي) أي سمكة.

والاسم المشهور اليوم في بغداد بل في العراق كله (مَرْ مَرِيج)، وذكرها ابن البيطار (مَارْماهيج)، وضبطت في نسخة باريس بإسكان الراءِ، وفي طبعة مصر: «مارماهيج هو السليناج المعروف بالنون».

قلتُ: وصواب هذه السِلِنْبَاح، بحاءٍ مهملة في الآخر وهو من أسمائهِ في العراق، أي بسين ولام ونون وباء موحدة تحتية وألف وحاءٍ مهملة. وراجع ما كتبناه في المشرق ٣: ٦٣ إلى ص٦٥.

- وفي ص٤٤٥: صارت لهم خراطيمَ (لا خراطيمُ بالرفع)، لأنَّ معناها تحوَّلت الآنُفُ فصارت خراطيمَ.

---

(١) (٤: ٩١).

(٢) (١: ٤٥٥).

(٣) (١١: ٢٢٣).

ـ وص١٨٥ : وقولهُ: وإذا كان ذلك، لا غبار عليهِ، ولا حاجة إلى [كذلك]. والمعنى هو: إذا كان الأمرُ ذلك.

ـ وفيها: ويتبخر باللُّبَان كدُخَان، بالضم، وبالكسر خطأ.

ـ ٣١٣ الذئب (بالهمز وبالياء لغة ضعيفة)، ٣١٨ الشَّكل وبالكسر غلط، ٣١٤، ٣٢٠ وفي غيرهما: تستمرئ بالهمز هو الفصيح.

٣ ـ أغلاط الصرف:

٢٥٥ : ١٠ أظافِرهُ: كان يحسن أن ينّبه على أن (الأظافر) لا يقال إلاّ في الشعر لإقامة الوزن، وإلاّ فهو خطأ، والعوام المصريون والسوريون مغرمون بهِ دون العراقيين، فإنَّ جميعهم يقولون: أظافير، بياءٍ قبل الآخر.

٥٧ : ٢٢ ثلاثة مواضع.

ـ ٦٨ : ١٩ وفي ش ص٣٠٢ مُعْجَمَى استينجاس وريتشاردسن، وهذا تعبيرٌ مولد لا تعرفه لغة القرآن، وقد أولع بهِ المعاصرون واستعمله صاحب تاج العروس والمصباح وغيرهما من اللغويين في إيراد شروحهم لبعض الكلم، ولو فكّروا قليلاً لعدلوا عنهُ، لأنَّ معناهُ: أن لاستينجاس معجمين ولريتشاردسن أيضاً معجمين، إذ قد يكون للمؤلف الواحد تأليفان. فالعطف يكون على المضاف لا على المضاف إليه، فكأنك تقول: معجمى استينجاس ومعجمي ريتشاردسن، والصواب معجم استينجاس وريتشاردسن.

٦٩ : ٢٦ كذا جاءَا، والصواب: وكذا جاءَا، أو: وهكذا جاءَا، أو: وجاءَا.

ـ وفي ١٥٦ خضراء، وفي ١٧٦ ملساء، والصواب خُضراً ومُلس، لأنَّ أفعَل ومؤنثها فَعلاء إذا كان نعتاً لا يجيء الجمع إلا على فُعْل كقفل، ذكوراً وإناثاً، وذلك

إذا دلَّ أفعَل على لون أو عيب أو حلية. يقال: رجال سود وسُمْر وبيض، ونساء سود وسمر وبيض، وليالٍ بيض وسود وأيام بيض وسود. ألم تلاحظ أنَّ الجاحظ قال: مُلس، في أول س من ص٢٧٥.

ويكاد جميع كُتّاب مصر يركبون متن هذا الغلط، وقد صححهُ مجمع فؤاد الأول للغة العربية على إلحاحي على أعضائه.

وفي ١٠١ الدجلة: ليس بغلط، إنما هي لغة ضعيفة، وقد وردت باللام مراراً لا تحصى في نزهة الجليس، ولم ترد مرة واحدة مجردة منها. وقال ابن الوردي:

إن للدِّجلـــة مـــاءً　　　لم تصل مصـر إليْها

وقولك: «الدجلة، وإدخال «أل» على دجلة خطأ، فإن المعرفة لا تُعَرَّف» (كذا)، كلام غير صحيح. فما قولك في: البصرة والحلة والموصل والشام، والحسن والحسين والعباسي والكاظم، والفرات والنيل والـهَبَيَّخ، وكلها أسماء معرفة ومحلاَّة بالتعريف؟ ـ فكلامك مردود ومدفوع على كل حال.

ـ في: ١٠٨ (دماميل)، وجاءَت بهذه الصورة في مواطن عديدة، وكان الحق أن يقال: دَمَامِل، لأن فُعَّلاً يجمع على فَعَاعِل، لا على فعاعيل، ولكن ورود دماميل ودمامل في جميع الكتب يؤخذ بهما كليهما وإن خالف أحدهما القياس.

ـ في ٦١: «والحوايا: الأمعاء، واحدها حاوية» (كذا)، والصواب: حَويَّة.

وأغرب من هذا قولك في ص١٦١ «أشرار جمع شِرِّير بالكسر والراء المشدَّدة المكسورة». اهـ.

وهذه أول مرة أقرأ أن فِعِّيلاً يُكَسَّر على أفعَال، ولم يقل به أحد قبلك، إذ هو في منتهى الغرابة، وفِعِّيل يصحح ولا يكسّر، كما قالوا في جمع سِكِّير وشرِّيب وقِدِّيس: سِكِّيرين وشِرِّيبين وقِدِّيسين.

وأما أشرار فهو جمع شرير وزان شريف، وتقول في جمع شريف ومجيد وبديل وشهيد: أشراف وأمجاد وأبدال وأشهاد.

وفي ص١٤٦: «بني عبد الله بن غطفان»، ولعلك كتبتها بألف أي (ابن) لوقوعها في أول السطر كما هو مألوف عادتك، بخلاف ما كنتَ تفعل سابقاً، فأنا لا أوافقك عليه، لأن ابناً إذا وقع بين عَلَمَين، بين اسم الوَلَد ووالده «فيجب» أن تحذف همزة الوصل أينما وقعت، أما إذا وقع بين اسم الولد وجدِّه، أو اسم شهرتِهِ، فتكتب الهمزة أينما وقعت، ليتضح المعنى ولا يقع هناك إشكال أو شبهةٌ.

ـ وفي ص١٤٨: «أما إذْ أبَيْت» والأحسن هنا ـ على رأيي ـ أن يقال: أما إذا أبيتَ.

ـ وفي ص١٤٩: «وبقي أثرنا بها»، وأفضل منها: «وبقي أثرُها بها».

ـ وفي ص ١٥٢: أو عصاً: بالألف القائمة.

ـ وورد كلام لا معنى له في ص١٥٨ س٤: فأما مقادير أجسامها فقط.

ـ وفي ص١٥٩ س١: وجاؤوا.

ـ وضبطت (المغناطيس) بكسر الميم في ص١١٢، ولا جرم أنكَ نقلتها عن محيط المحيط، وهو معجمٌ طافحٌ بالأغلاط والأوهام والخلل والخطل، والصواب: فتح الميم، كما في جميع المعاجم العربية المعتمدة.

ـ وفي ص١٣٢: «يستخبر الريح (؟ كذا، ولا معنى لهُ)»، والصواب ما في اللسان[1] والقاموس[2] والتاج[3]: يَستَمِخر.

---

(١) (٥: ١٦٠).

(٢) (١: ٦٠٩).

(٣) (١٤: ٩١).

ـ وفي ص ١٥٦ : أثبت خرافة الفرانق وهي منقولة عن كَتَبَة الفُرس ومُـخَرِّفيهم، ويؤخذ من عبارة الجاحظ أنه لا يَعتَـقِدُها، واسم هذا الوحش بالفرنسيـة Lynx ـ carcal وعلماؤهم لا يَروُونها.

ـ وفي ص١٧٣ : «يرون من ملاقاة الحية (للحيَّة)»، هذا كلام فارغ من المعنى، والصواب «مُلاَواة». قال في اللسان في مادة (ع ق م): «إن الأسود من الحيات يأتي شّط البحر، فيصفر، فتخرج إليه العقام فيتلاويان، ثم يفترقان، فيذهب هذا في البر وترجع العقام إلى البحر» اهـ. فالملاواة: المجامعة.

ـ وفي ص١٧٥ : أُنْسُع، والصواب أَنْسُع بفتح الهمزة.

ـ وفي ص١٧٦ : «الشجاع: الحية الذكر، والأرقم[1] حية فيها بياض وسَواد...». وكنا نتوقّع أن تأتينا بتحقيقات علمية لا بنُـقُول خالية من الرويَّـة والتدبُّـر، ففي التاج... وقال شَـمِر في كتاب الحيات: «الُشِجَـاع (كُغراب وكتاب): ضربٌ من الحيَّات لطيف دقيق، وهُوَ ـ (على ما) زعموا ـ أجرؤها....» قلتُ: والكلمة يونانية من Siga أو Sige أي الإطراق والسكوت، فيكون معناهُ: ذا الإطراق والسكوت،

---

(١) قال أمين معلوف عضو المجمع العلمي بدمشق في كتابه «معجم الحيوان» ص٢٦٩ وهو منشور في مجلة «المقتطف» (٣٨: ١٣٣): حيةٌ مرقمة بحمرة وسواد وكدرة تعرف في مصر بالأرقم، والأرقم في حياة الحيوان «الحية التي فيها بياض وسواد كأنه رقم أي نقش...»، وقيل: الأرقم: الحية التي فيها حمرةٌ وسواد. قال مهذب الملك في ذلك مشبهاً:

كانون اذهب بـرده كانوننـا	ما بين سادات كـرامٍ حـذَّقِ
بأراقمٍ حمر البطون ظهورهـا	سود تلعلعُ باللسان الأزرق

وقال: وقد ورد ذكر الأرقم بهذا اللفظ في كتاب «زحافات مصر» لاندرسن وقال: إن أهل مصر يطلقونه على هذا النوع من الحيات. وذكره فورسكال بهذا الاسم في كتاب وصف حيوانات بلاد العرب ونباتاتها، وحواة مصر يعرفونه ويسمونه الأرقم، ويزعمون أنه ليس من ذوات السموم، لكن ذكر أندرسن أن بعض أنواع هذا الجنس سامةٌ وهي معروفة أنها كذلك عند أهل افغانستان وبلوخستان.

ولا يكون كذلك إلا ضرب من الحيات في نهاية الخبث، ومنه المثل عند السلف: «أطرق إطراق الشُجَاع». وأما الأرقم، فالذي حقَّقه بوشارت Bochart أنه المعروف عند اللاتين باسم Haemorrhois، وباليونانية Haimorrhois (راجع معجم جسنيوس Gesenius العبرى اللاتيني).



الرسالة الثانية[1]

ـ وفي ص١٩١ س٥: «ولا أعْشَق»، والصواب: «ولا أَعْبَق» بمعنى «ولا أعْلَق» من عبق بِهِ أي أُولِع بِهِ أي علق به شديداً، واللام والباء تتعاوران، أي يقال عَلِق به كما يقال عبق بِه.

ـ وفي ش ص٢٢٦: «نصيبين مدينة من بلاد الجزيرة»، وهي غير التي كان عندها الواقعة مع المصريين، فهذه غير تلك، فالتي عرفت بكثرة عقاربها هي تلك القديمة لا هذه التي وقع فيها ما وقع مع المصريين.

ـ وفي ش ص٢٣١: «المُغْرَب، بفتح الراءِ: الأبيض»، لكن أيوافق هذا الشرح للعَيْن المُغرَبة؟ والذي في الصحاح[2]: «المغرَب ما ابيضَّ أَشْفَارُهُ». وفي التاج[3]: «يقال عين مُـغْرَبة أي بيضاء زرقاء الأشفار والمحاجر، فإذا ابيضَّت الحدقة، فهو أشدُّ الأغراب». فهذا الموافق إيرادهُ أو شرحه هنا.

ـ في ش ص٢٤٨: والمراد هنا بالحلي: الخلاخيل ذوات الجَلاَجل، وكانت النساء في بغداد إلى قُبَيْل الحرب العظمى يضعن جلاجل في خلاخيلهنَّ، والآن عدلن عن استعمالها وأبقينها لخلاخيل أولادهن من ذكورٍ وإناثٍ.

---

(١) نشرت هذه الرسالة في مجلة «الثقافة» العدد ٩٨ الصادر بتاريخ ١٢ شوال ١٣٥٩ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٤٠ (٣٨-٤٠).

(٢) (١: ٢١١).

(٣) (٣: ٤٧٧).

- وفي ص٢٨٥: «بين حَوا في سَدِرٍ»، وأظن الصواب: سِدَرٍ كعِنب أو سُدُر كعُنُق وهي جمع سِدْرٍ وهي شجرة النبق. وكثيراً ما تُرى الحيَّات لاجئاتٍ إلى أسافلها، فإنها تعشق رائحتها.

- وفي ص٣٠٢: «من سُمَانِي الأَقبُرِ»، والصواب سُمَانَي بفتح النون.

- ومن غريب مصطلحاتك قولك في ص١٧٩: «التاء المفتوحة»، قلنا: وهذه تكون في مثل قولك. «البِنتَ وبِنتاً»، وأما التاء المبسوطة أو المطوَّلة فلم يسمِّها أحدٌ بالمفتوحة.

وأغرب من هذه الكلمة قولك في ص١٨٤: «مسألة مصدر ميمي»، والمصدر الميمي لا يُختم بهاءٍ على ما راجعنا كُتب القَوم.

- وقلت في ص٢٠٣: على غشوشة: «كذا في الأصل، والمعروف غَشَّهُ غشّاً» وأظن أنَّ الغشوشة هنا جمع غِش، لأنَّهم قالوا في جمعه غُشُوش (راجع معجم دوزى في غ س) ثم قالوا غُشوشة، كما قالوا سُهُولة وحزونة لأنَّه «روى عن أبي الهيثم أنهُ قال: العرب تدخل الهاء في كل جمع على فِعَال أو فُعُولٍ.. فقالوا: عظام: وعظامة... وذكورة وفحولة....» (راجع اللسان والتاج في حجر).

- وجاء في ص٢٥١: ١١: «فإذا وَضعَتْهُ سَجرَتِ التنور» وفي الحاشية: «سجرت التنور: أحميته وأوقدتهُ» والصواب أحمَتْهُ.

- وفي ش ص٢٦٩: «والحواء بضم الحاء جمع حاوٍ. وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرتهُ المعاجم...».

قلتُ: وأنت تتبع في هذا الرأي قول كثيرين من الصرفيين الذين يحكمون بعقول غيرهم لا بعقولهم، وإلَّا فهذا الجمع قياسي ومبتذل، وإن لم يصرح بقياسيته جميعهم.

فقد قالوا فُعَّالاً في جمع كاتب، وسامر، وصائغ، وحاكم، وصانع، وتابع، وكافر، وجاهل، وهالك، وناثب، ونائم، وجانٍ، وصادٍ، وساجن إلى ما لا يحصى عده.

ـ وفي ٢٩٠ من المساجين، وهذا الجمع لم يسمع من فصيح، وفي سورة الشعراء الآية ٢٨: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

٤ ـ أوهام في الآراء:

ـ في ص٢٨: ١٣ «وتجد فَقراً...»، قلتُ: وقد نشر يوشع فنكل في القاهرة سنة ١٣٤٤ بالمطبعة السلفية رسالة عنوانها: «المختار من كتاب الرد على النصارى»[١] اختارها عبيد الله بن حسَّان»، ووقعت في ٣٨ صفحة بقطع الثمن الصغير.

ـ وفي ش٢ من ص٧١: «جنس من الأيسيويين»، وهذا الخلق لا وجود له في الدنيا كلها. والذي أعرفه أن يأجوج ومأجوج هم الأسكوثيون أو الأشكوزيون أو السقوثيُّون أو السكوثيون[٢] أي: Scythes، واسم بلادهم اسكوثية أو اشكوزية، وسَّماها الهَمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (ص ٣٢: ٩) سَقُوتِيا.

---

(١) طبعت هذه الرسالة ضمن مجموع فيه ثلاث رسائل للجاحظ، سعى في نشرها المستشرق يوشع فنكل، وكان قد استنسخها عن نسخة خطية محفوظة في الخزانة التيمورية برقم (١٩ أدب)، وقد استنسخها عن نسخة أخرى محفوظة بالخزانة الأزهرية تحت رقم (٦٨٣٦)، وتشير المصادر إلى أنه توجد لها نسخة أخرى في المتحف البريطاني تحت رقم (١٢٩ط)، كما أن المستشرق (رتشر) قد نشرها ضمن مجموع آخر من رسائل الجاحظ في مدينة (شتوتجارت) بألمانيا سنة ١٩٣١م، كما أنها قد طبعت على هامش كتاب «الكامل» للمبرد سنة ١٣٣٢هـ، ثم نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في ذيل الجزء الثالث من رسائل الجاحظ. انظر ما كتبه الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي في مقدمة كتابه «المختار في الرد على النصارى مع دراسةٍ تحليلية تقويمية» لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

(٢) السكوثيون أو الإصقوث (من اليونانية: *Σκυθία Skythia*) هم: شعب بدوي متنقل ينحدر من أصول إيرانية، حل محل السيريين الذي كانوا قد جاؤا من سهول روسيا، وقد نزح السكوثيون من سهول =

ـ وفي ص(٤٢٢: ٢) «الحَيْر البستان»، قلتُ المراد بالـحَيْر هنا البستان الذي يُـجعل فيه أنواع الحيوان كمـا هو الأمر اليوم في بستان الجيزة، ويسَّمى بالفرنسية Jardin Zoolo Giaue وبالإنكليزية Zoo وكان الـحَير يسمى في بدءِ الأمر (حَير الوَحش أو الوُحُوش) ثم حذفوا المضاف إليه استغناءً بالمضاف. ذكر ابن الخطيب في مقدمة تاريخ بغداد[1] (ص ٤٨ من الطبعة الباريسية) قال: «وكان الميدان والثُرَيَّا وحَير الوحوش مُتّصلاً بالدَّار..».

وفي كتاب «رسوم دار الخلافة»[2] لهلال بن الـمُحَسَّن الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة، الذي يُعنى بتحريره وتعليق حواشيهِ ونشرهِ ولدنا بالروح ميخائيل عوّاد ما نصّهُ: «كانت دارٌ (دار الخلافة ببغداد) عظيمة السعة، وعلى أضعاف ما (هي) عليه الآن من هذه البقية الرائعة، ودليل ذلك أنها كانت متصلة بالحَير والثُرَيا، ومسافة ما بينهما اليوم بعيدة..» (ص٨ من المخطوط).

= أوراسيا إلى جنوبي روسيا في القرن ٨ ق.م، واستقروا بغربي نهر الفولجا شمال البحر الأسود حيث كانوا على صلة بالمستعمرات الإغريقية حول البحر الأسود، تعرف اليوم بشبه جزيرة القرم (أوكرانيا حالياً)، تمكن السكوثيون من تأسيس إمبراطورية غنية وقوية استمرت لقرون عديدة قبل أن يخضعوا للسارماتيين بين القرنين الرابع قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، معظم مانعرفه اليوم عن تاريخ السكوثيين يأتي من الروايات التي دونها المؤرخ اليوناني القديم هيرودوتس، والذي كان قد زار بلادهم، وقد نشرت تلك السجلات بعد دراستها من قبل علماء الأنتروبولوجيا (علم الإنسان) الروس. كما كتب عنهم أيضاً المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس ووصفهم بأنهم شعب مأجوج. كان السكوثيون يثيرون إعجاب وخوف جيرانهم لخفة حركتهم ولبسالتهم في الحروب والمعارك، خصوصاً لمهارتهم بالفروسية حيث كانوا من أوائل الشعوب الذين تفننوا بركوب الخيل. (الموسوعة البريطانية ـ مادة scythian).

(١) (١: ٩٩).

(٢) وفي المطبوع بتحقيق ميخائيل عواد: ص٧.

وفي تجارب الأمم لمسكويه[١] ـ طبعة آمدروز ـ (في حوادث سنة ٣١٥ هـ) ذكر لـحَيْر الوحوش، فلتراجع.

ويقال لـحَيْر الوحوش: (حائِر الوحوش، وحظيرة الوحوش) أيضاً. ففي مادة (التاج) من معجم البلدان[٢] لياقوت هذه العبارة: «واقتطع جملة من البرية، وعملها ميداناً لركض الخيل، واللعب بالصوالجة، وحَيراً لجميع الوحوش». اهـ. وراجع الأغاني طبعة بولاق ٩: ٥٦، فقد صحفت هناك (جير)، وفي نهاية الأرب ٤: ٢٠٥ (حاشر الوحوش) وهو أشنع، والصواب (حائِر الوحش) كما أسلفنا.

ـ وفي ش ص١٣٥: «هذه الجزيرة هي المسَّماة جزيرة أقُور»، قلنا: من غريب تصحيف العرب للأعلام كلمة (أقور)، فإن أصلها (أَشُور) أو (أَثور) ويقال: (آشور وآثور، وأشورية وأثورية)، وبالفرنسية Assyrie، فالذين نقلوا (أشور) إلى (أقور) هم الذين قالوا في (القَصَّاب): (الشَصَّاب) والذين نقلوا (أثور) إلى (أقور) هم الذين قالوا في (العُلثَة) (العُلقَة)، وكأن هذه التصحيفات ليست بشيء، فزاد القاموس أن حذف الهمزة من الأول، فقال (قور) في مكان (أقور) قال في مادة (ج ز ر) ما هذا نصّهُ.

«وجزيرة قور بين دجلة والفرات، وبها مدن كبار، ولها تاريخ، والنسبة جَزَرِيّ». اهـ. وفي تاج العروس[٣]: «وقال أبو عُـبَيد: وإذا أطلقت الجزيرة ولم تُضَف إلى (العرب)، فإنما يراد بها هذه» اهـ. وسَمَّاها الهَمداني مرة (أَثور) في ص٣٦ من كتابه «صفة جزيرة العرب»، وأخرى (بلاد أَثُورِيَا) ص٤٢، وطوراً الجزيرة (ص٤٧ و١٢٤).

---

(١) (٥: ٢٣٠)، والنقل من الطبعة الإيرانية، وقد قال فيها: (وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا إلى المصلّى، فنهبوا القصر المعروف بالثريّا وذبحوا الوحش الذي في الحائر).

(٢) (٢: ٤).

(٣) (١٠: ٤١٨).

ومن العجب أن كثيرين لم ينتبهوا إلى أن هذه الأسماء المختلفة راجعة كلها إلى مسمًّى واحد، هو (ديار أشور) عند الإفرنج، أو (أثُّوريا) كما مرّ بنا ذلك قُبيل هذا.

ـ وجاء في ص٧٢: «من نبط بَيسان»، وذكرتَ في الحاشية أن بيسان هذه: قرية من قرى الموصل، والذي عندي أن هذا وهم، إذ ليس لك دليل سوى ما جاء في ياقوت على بيسان، وأما الصواب فيظهر أن المراد ببيسان هنا: مدينة بنواحي الأردن، وكانت داراً شهيرة للأنباط، إذ كانت ربوعهم الأصلية تلك الأرجاء.

ويدعم هذا الرأي، أنَّ الجاحظ ذكر قبل ذلك (حَرَّة بني سُليم)، وهي مجاورة لمرابع النبط في الغور الشامي، وللأوربيين ـ على اختلاف قومياتهم ـ كتب كثيرة على تلك البلاد الواقعة في شمالي بلاد العرب وجنوبي فلسطين.

ـ وفي ص٢٠٥: «وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار، أن الشوك إنما اعتراها في صبيحة اليوم الذي زعمت النصارى فيه أن المسيح ابن الله» كذا. ولم تعلق على هذه الخرافة الفائقة حِصِرماً في العين كلمةً، مِثل قولك: وهذا زعم باطل، لا أساس لهُ، أو كذب مَحض على النصارى، لأن الأناجيل كلها تذكر أن السيد المسيح، له المجد، كلِّل بإكليل من شوك (راجع مثلاً يوحنا ١٩ : ٢ وما يليها). فهذا وحده دليل واضح على وجود الشوك قبل قول النصارى المنسوب إليهم كذباً وزوراً وبُهتاناً وافتئاتاً.

وهناك دليل آخر أن العلماء الوثنيين من يونان ورومان وسريان وغيرهم، يصفون العِضَاه وشوكها، قبل ولادة المسيح بأعوام عديدة.

ـ وفي ص٢٢٥: «وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك أن البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة....»، وهذه أيضاً خرافة أخرى على ما في الكتاب من الخرافات، وكان يجب

أن تكتب (ابن) هنا بالألف، لأنَّه منسوب إلى جدِّه لا إلى أبيه كما حققت ذلك بنفسك (راجع ما علقناه هنا على ص١٤٦).

وأما الخرافة فهي أن البرغوث لا ينسلخ بعوضة، إذ الحيوان في انسلاخه لا ينتقل إلى حيوان أو دابة من جنسٍ آخر، وعلماء الحيوان من أقدمين وعصريين هم رأي واحد في هذا الموضوع فكيف فاتتك هذه الخرافة وأنت تعيش في مصر، وفي عصر النور والرقيّ؟

وما جاء عن كعب الأحبار بصدد الحية (ص ٢٠٠)، وعقاب الأرض (٢٠١) هو حديث خرافة أيضاً لا يقبله عقل الأطفال فضلاً عن عقل الرجال، ولا أدري كيف لم تعلق عليه شيئاً يبرئُ العَرَب من هذه التهم، كما علقت على حاشية ٨ في ص١٤٣ بقولك: «ذلك زعم».



الرسالة الثالثة[1]

ـ ومن الخرافات، لكن اللغوية، نقلك كلام اللغويين في ص٤١٢ في أصل المنجنيق، إذ قلت إنها من «جه نيك» أي: أنا ما أجودني! فياله من تحقيق وياله من تأصيل!!! أفاتك أن المنجنيق من اختراع علماءِ اليونان[2]، وأن الاسم وضع في اليونانية، قبل أن يوضع في سائِر اللُّغَى، وعنهم نقله سائِر الأقوام فهو في اليونانية Magganon.

ـ وفي ص٤٨٣ في ش: «ورجح ياقوت في معجم البلدان أن تسميتها كنيسة القُمَامة»، قلنا: ولا يجوز لأحد أن يحقق هذه التسمية غير النصارى، فإن الكنيسة بنتها الملكة هيلانة أم قسطنطين الملك، حين زارت بيت المقدس، ولما شيّدتها سمتها باليونانية، لا بالعربية Anastasia (أنستاسية) أي: القيامة أو النشور أو البعث، وذلك بنحو ثلثمائة سنة قبل الإسلام، ولم يكن العرب يومئذٍ في بيت المقدس، فكيف يرجح ياقوت القمامة على القيامة؟ ومعنى القمامة المزبلة.

وفي ص٣٣٦ ش٥: «الصومعة كجوهرة: بيت للنصارى، سمي بذلك لدقة في رأسِهِ» (كذا)، وهو رأي أغلب اللغويين الذين لا يعرفون من الكلم إلا الاشتقاق

---

(١) نُشرت في مجلة «الثقافة» العدد ١٠٠ الصادر في ٢٦ شوال ١٣٥٩ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٤٠ (٣٩-٤٠).

(٢) كتب كلٌ من: P. E. Chevedden - L. Eigenbrod -V. Foley - W. Soedel، وهم باحثون في جامعة Purdue جمعوا بين الهندسة والتاريخ في دراستهم للمنجنيق بحثاً في مجلة: «سايتنفيك أمريكان» بعنوان (المنجنيق)، وقد خلصوا فيه أنه قد تم اختراعه في الصين بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد. (مجلة العلوم ـ الترجمة العربية لمجلة «سايتنفيك أمريكان» الصادرة عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ المجلد ١٢ أبريل ١٩٩٦).

العربي، فيشتقون جميع الألفاظ الأعجمية من لغة الضاد، وهذا نقص عظيم في علمهم، فالصومعة كلمة لاتينية من Summa ومعناها القمة وكل شيء دقيق الرأس على هيئة القمة. وفي المتن: «وكذلك الصومعة»، والصواب أن يقال: وكذلك (بيضة) الصومعة ليتم التعبير والمعنى.

٥ ـ ما غمض عليك تحقيقه:

جاء في ص٤٣٥: «... وعند البَحْرِين والبصريين»، وصواب الأول «البَحْرانِيين»، وهم أهل البحرين ومن أعاظم أغنياءِ العالم في عهد العباسيين وفي هذا الوقت أيضاً، لأنَّهم يعنون بالغوص واستخراج اللآلئ من بحرهم، كأنهُ يقول: وعند اللأّالين، جمع اللأّال، لمستخرج الدُرّ وبائعه، وصواب الثاني البصريين بمعنى أهل البصرة، لأنَّهم يتاجرون مع البلاد النائية، كالهند والصين وصين الصين، وتلك الربوع المتناهية في البعد، فكأنه يقول بمعنى البصريين: كبار المتاجرين.

وجاء في ش ص٤٨٨ في تفسير: «كأنهُ شهاب قُذف»، أي الكوكب الذي ينقض «على أثر الشيطان بالليل ويقذف به».

قلنا: ما كان أغناك عن هذه الزيادة الأخيرة الخرافية، فالشهُب تنقض من غير أن يكون ثمَّ شياطين ولا أبالسة ولا جنّ، إنما الشهب من سنن الطبيعة. أفيكتب واحد مثلك مثل هذا القول ونحن في عصر النور والرقي والتحقيق الدقيق؟ أما كان يمكنك أن تقرأ في بعض التآليف الفلكية العصرية ما يقال عن الشهب والنَيازِك والرُجُم؟ فإن لم يكن بين يديك تصانيف عربية حديثة، فراجع أسفاراً فرنسية تتكلم على Etoiles Filantes و Bolides وAerolithes وبالإنكليزية: Shooting or Ealling star أو Meteor، أو Aerolith .

٦ ـ مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية:

كثيراً ما تُقابل العربيات بالإنكليزيات وبغيرها من لغات أهل الغرب، ولا تُنبه على اللغة التي تنقل إليها. ففي ص٩٤ Crane ولم تقل إنها إنكليزية، وهي بالفرنسية تعني الجمجمة أو قحف الرأس.

وفي ش ص١٠٧: Grasshopper للجندب فلا مقابل له بالإنكليزية، وإنما يقال A kind of Cricket، وبلسان العلم Gryllus Stridulus.

وفي ش ص١٠٨: Chamaleon وهي بالإنكليزية، ولم تنبه عليها.

وفي ش ص٤٧: Caracal وقلتَ: بالأفرنجية، وهذه الكلمة تعني الفرنسية عند العرب، وأنتَ تريد هنا الإنكليزية. وCaracal وهي بالفرنسية والإنكليزية معاً.

وفي ش ص٣٠٩: الورل Varanus وهذا بلسان العلم لا بالإنكليزية.

وفي ش ص٢٦٠: دَخَّال الأذن ويسميها علماء الإفرنج Centipede، وليس هذا بصحيح، لأنّ هذه إنكليزية، وأمّا علماء الإفرنج أي علماء الحيوان منهم فيسمونها Myriapodes.

وفي ش ص٣٣٥: لبُهمَى.... وهي بالإنكليزية Wild-Oat، وهذه الانكليزية يقابلها في لسان العلم Avena Fatua، مع أنَّ الصواب هو ما وَرَدَ في مفردات ابن البيطار (أو جامع ابن البيطار) وباليونانية Hordeum Murinum، ويقابلها أيضاً بلسان العلم Lolium Perenne.

وفي ش ص٣٧٤: خارطيس والصواب خارْتيس، إذ ليس في لسان اليونانيين طاء، وإن نقلها العرب في بعض الكلم إلى الطاء.

ـ وفي ش ص٣٦٧: فسّرتَ العُـلْجوم بالبعير الطويل، والذي عندي أنَّ للعلجوم مَعَاني شتّى[1]، منها: طائر عظيم أبيض، وهو المراد منه في بيت الشاعر، لأنَّه يرتاد الرياض، ولهذا قيل: «كأنهُ بتناهي الرَّوض عُلجومُ»، وهو بلسان الفرنسيين Heron-Crosse، ثم أين وجدتَ أن العُلْجوم هو البعير الطويل «المطلي بالقار»؟ فمن أين لك هذه الزيادة «المطلي بالقار»؟.



(١) انظر: «معجم الحيوان»: ٤١.

الرسالة الرابعة[١]

٧ ـ ملاحظات شتى:

ـ ذكرت في ص٤٦: «وفيها ككواء الزنابير»، وأظنها «ككوائِر الزنابير»، وذلك أن هذه الهوام تبتني لها بيوتاً يسميها العراقيون (ومنهم الجاحظ) كوارة والجمع كوائر، وفي المخصص ٨: ١٨٠: «وقيل الكوائر صغار الخلايا، وقيل الكُوارة بالضم: بيت تبْنيه (النحل) لم يوضع لها». اهـ.

وفي القاموس[٢]: الكوارات: الخلايا الأهلية كالكوائر». اهـ. ومن أسماء بيت الزنبور: الصَفَنُ بالتحريك.

ـ وفي ش ص٢٧٠: «التأسير واحد التآسير....»، وعندي أنها تأْشير بالشين المعجمة وجمعها تآشير. قال في المخصص ٨: ١٧٣: «والتأشير أيضاً: الأَثناء وهي: عقدة في رأس الذنب (ذنب الجرادة)، كالمخلبين، ويقال لهما الأُشْرتان». اهـ.

والذي عندي أن التأشير هنا: الثِّنْي من باب الإطلاق أو التعميم بمعنى: العقدة. ومعلوم أن للحيَّة أثناء مُتَلاحكة، أو حُزوزاً، (راجع ص٢٧٤) يدفع أحدهما الآخر عند السعي أو الدب.

ـ وفي ص ١٥٥: «الأجدهاني» ولم تضبطها، وهي بفتح الهمزة وإسكان الجيم وفتح الدال، يليها هاء وألف، ثم نون مكسورة، فياء مشـدَّدة، وهي منسوبة نسبة

---

(١) نُشرت في مجلة «الثقافة» العدد ١٠٢ الصادر في ١٠ ذي القعدة ١٣٥٩، الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٤٠ (٣٢-٣٤).

(٢) (١: ٦٠٧).

إرَمِيَّة إلى (أجْدَها)، كما نسبوا إلى الباقِلاّ (بالقصر) أو الباقِلاّء (بالمدّ) وباقدْرَا، وبلِفْيَا، وَجدَيا، وجباقلاُلُلْتا، إلى غيرها، فقالوا: باقِلاَّني، وباقدْرَانيّ، وبلفياني، وجَدَيانيّ، وجُلُلْتاني، إلى نظائرها.

ـ و(أجدَها): تعريب الفارسية القديمة (أزدَها) بزاي مثلة، وتلفظ كالحرف j بالفرنسية، (أزدَها) قصر (أزْدَرْها)، بإسقاط الراء، ومعناها في تلك اللغة: (التنين الفتّاك). وقد اختلف الرواة في عدد رؤوسه، فالنصارى يجعلونها سبعةً، رمزاً إلى التنين الأول، وهو الشيطان اللعين، وترمز أرؤسةُ السبعة إلى الخطايا السبع الكبرى المعروفة عندهم بالخطايا الرأسية السَبع، وهي: الكبرياء، والبخل، والفحشاء، والحسد، والشراهة، والغضب، والكسل. فالظاهر أن الجاحظ وقف على رأي النصارى دون غيرهم.

وأمّا أنها عشرة أرؤس، فهي مبنية على وهم الفرس المحدثين، أي أن الكلمة منحوتة من (ده) أي عشرة، و(آك) أي مصيبة أو بليّة أو عَيب، ولكن الكلمة ليست من الفارسية الحديثة، بل هي قديمة الوضع، زَنِدِيته (راجع معجم فُلّرْس الفارسي اللاتيني المطبوع في ألمانية)، وعنوانه باللاتينية: (J. A. vullers:lexicon persico latinum_١٨٥٥) وأما أن هناك من قال: إن له رؤوساً لا أرؤساً، فهم اليونانيون الأقدمون الخرافيون أهل السمر، فإنهم يسمون هذا التنين ما نرسمه بالحرف الروماني: Hydre de lernc، ومن راجع معجم لاروس الوسط، يجد مختلف الآراء في عدد رؤوس ذلك التنين، فمن قال إنها تسعة، ومن ذهب إلى أنها خمسون، وقالت جماعة: بأنها مائة.

وأمّا أن الجاحظ يرى أن هذا القول: «من أحاديث الباعة والعجائز»، فليس صحيحاً، لأنّه يرى مُدوناً في أسفار مثقفيهم الأقدمين، ومنهم انتقل إلى الفرس الزَنْدِيّين حين اتصلوا بحضارة الإغريق أو الأغارقة، قُبيل الإسكندر الأكبر وبعده.

ونظن أن (الباعة) محرفة عن (الباغية)، بمعنى الطائفة الباغية، وهي اسم فاعل من: بغى فلان يبغي بغياً: إذ عدا عن الحق واستطال وكذب، ويراد بالباغية: جمهرة من الناس من أهل السَمَر والمخْرَقة، يَعْدُون عن الحق ويكذبون ويختلقون الأراجيف. فلما لم يفهم النُسَّاخ المسَّاخ معناها في هذه العبارة، وضعوا في مكانها (الباعة)، وقد ألفوا سَماعها ومعناها في كل يوم، بل في كل ساعة، وجهلوا أن لا معنى لها هنا يستقيم بها سياق الكلام، وينسجم انسجاماً.

وفي ص٣١٤: «ومرةً يجعلهُ أهلهُ على ربيث الدكان»، وهو كلام لا معنى لهُ، والصواب: «يجعلهُ أهلهُ، (أي أهل الجاموس) ربيث الدكان»، ومعنى ربيث: سجين أو حبيس، أي أن أهلهُ يحبسونه في حظيرة مرتفعة الأرض كالدكان، ليدفع عنهُ أذى البعوض، لأن هذه الهوامَّ تلجأ إلى الأرضين المنخفضة، وهذا ما يفعل إلى اليوم في البطائح، بجواره البصرة.

ـ وفيها س٣: «لا تستمري»، والأفصح همز الآخر، وقد تكرر هذا الخطأ مراراً كما في ص٣٢٠ وغيرها.

ـ وفي ص٣١٥ س٩: «وهو في ذلك عبقر نضير»، وهذه ألفاظ رنَّانة فارغة من المعاني، والصواب: عُنْقُرٌ نضير. والعنقر: البرديّ، أو البردى ما دام أبيض.

وراجع كتاب النبات والشجر للأصمعي، المطبوع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين، سنة ١٨٩٨، لناشره الدكتور أوغشت هغنر في الصفحة ٣٨.

ـ وفيها س١٠، ١١: «قد خرق جوف القار»، وليس في الأردن قار أو قير بمعنى الزِّفت، ليصح هذا الكلام، إلا أن هناك «قاراً كثيراً، بمعنى أن القار جمع قارة وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال، أو الصخرة العظيمة، أو الأرض ذات الحجارة السود، أو الصخرة السوداء»، وهذا المعنيّ بِه هنا دون غيره.

ـ وفي ص٣١٦ س٦: «التي تكون عنها الصواعق»، والأحسن هنا «فيها»، لأن الصواعق تكثر في البصرة والأُبُلّة إلى عهدنا هذا، وتحدث فيها أضراراً بليغة في فصل الربيع.

ـ وفي ص٣١٩: «وما قرأت للقدماءِ في النفس الأجلاد الكثيرة»، وكان يحسن هنا أن تفسَّر (الأجلاد)، فيقال إنها جمع جِلْد، بمعنى السفْر أو المجلَّد، ليهتدي إلى معناها القارئ، ولا يبحث عنها في المعاجم التي لم تذكرها.

ـ وفي ص٣٢٠: «فإذا عاد كالحمر..... كما يبتلع الجَمْر». وتصحيح العبارة: «إذا عاد كالجَمْر... كما يبتلع الحَجَر».

ـ وفي ص٤٠٤: «كما يموت السمك، إذا فارقهُ الماء»، والأحسن: كما يموت السمك إذا فارَقَ الماءَ.

ـ وفي ش ص٣٠١: «مركبة من مقطعين»، وهذا تعبير لا عهد لي به سابقاً، والصواب: «من لفظين أو حرفين»، وأما المقطع فهو الهجاء، لا الكلمة، أو الحرف أو اللفظة.

ـ وفي ص٤٧١: «والملح شيئَان: أحدهما المَرَقَة»، (كذا، بهذا النقل الشنيع، وبهذا الضبط الأشنع)، وفاتَكَ أن ليس لمترادفات المِلح: المَرقة، بل الدُقَّة.

ـ وفي ص٤١١ س٦: «على كَنَس»، والصواب بضمتين، أي: على كُنُس، مثل: سحاب وسُحُب.

ـ وفي ص٤٨١: الهرابذة، وعرفتهم بنقل عبارة استينجاس، ولا أرى سبب عدولك عن كلام العرب إلى نقل عبارتك عن الأعاجم، في حين أن السلف تكلموا عليهم.

فقد قال المسعودي في التنبيه والإشراف ص١٠٣ من طبعة الإفرنج: «وكانت للفرس مراتب أعظمها خمس: هم وسائط بين الملك وبين سائر رعيته، فأولها وأعلاها (الـمُوْبَذُ) تفسيرهُ: حافظ الدين، لأن الدين بلغتهم (مُو) و(بذ): حافظ، وهو: (موبذان موبذ): رئيس الموابذة وقاضي القضاء، ومرتبتهُ عندهم عظيمة نحوٌ من مراتب الأنبياء، (والهرابذة) دون الموابذة في الرئاسة....»، والكلمة مركبة من (هر) أو (هير) أي نار. و(بد) أو (بذ) أي حافظ أو خادم أو قيِّم، ومحصِّلها خادم النار.

❊ ❊ ❊

الرسالة الخامسة[١]

ـ وفي ص٢٩٦: «زرادشت»، ولم تضبط دالها وكذلك «أهرمن» ولم تضبط، وفي الحاشية: «كيبستاسب وارموزد»، وكلها ألفاظ مخطوء في رسمها وضبطها، والصواب زَرَادُشْت، ويقال أيضاً: زَرَادُهْشْت وزَارْتُشْت وزُارْدُشت وزَرْادُهْشْت وزارْدِشْت (راجع معجم فارس المذكور قبل هذا).

وتضبط أهرمن هكذا: أَهْرَمَن، وأَهْرَمْن وآهْرَامن، وآهْرَمَن، وآهَرْمَن وآهرِيمْن، وأهْرَن، وآهْرِيمَن، وآهْرَابن، وأَهْزِيمَن، وأَهْرِيمَه على ما في كُتُبهم الدينية.

وتضبط أَرْمُزْد (وخطأ أرموزد كما كتبت) أُرْمَز، وأرْمُزد، وأُوْرْمز، وأُوْرْمُزْد.

وأمَّا كيشتاسب فليس محلهُ هنا، والذي يجب أن يكون هنا هو كيستاسب أو كيستاسف كما في تاريخ ابن خلدون ٣: ١٦١، وأمَّا كيستاسب فهو: ابن لهراسب، وكان قبل ظهور زرادشت الهربذ الشهير (راجع الآثار الباقية للبيروني طبعة أوربة في الصفحة ١٠٥)، ولا تراجع الشاهنامة، فإن الأعلام فيها محرفة في بعض الأحيان، فأين ذا من ذاك؟

ـ وجاء ذكر ديدان الجُبْن في ص٤٦، وهذا الأمر معهود إلى يومنا هذا وهو معروف بنوع خاص في الجبن المسمى بالفرنسية: Camambert وRoquefort. وقد

---

(١) نُشرت في مجلة «الثقافة» العدد ١٠٣ الصادر في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٩، الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٠.

أكلتُ من هذهِ الديدان شيئاً كُثَاراً عُجاباً حينما كنت في نيس Nice، في جنوبي فرنسة في سنة ١٨٨٩ إلى عام ١٨٩٤.

ـ وذكرت في ش ص٤٦٨ كلاماً على «لا دَرَّ درُّ رجال...»، وفي المحِبّيّ في كتابه خلاصة الأثر ٢: ٣٨٢، ورد مقال طويل على هذين البيتين، فليراجع.

ـ وفي ص١٥٤ ذُكِرَ تِنّين أنطاكية. وقد تكلمتُ على تِنّين بغداد وهو كَتِنّين أنطاكية، كلاماً طويلاً عريضاً في مجلة المشرق البيروتية ١٩٠٧ (أي قبل ٣٣ سنة) في المجلد ١٠: ٥٩٠ إلى ص٦٠٣، وهو بحث يعجبك كثيراً.

ـ وفي ص١٥٥ ذكر الأَصَلة، وقد نشرتُ مقالة طويلة عليها (ولا أتذكر أين ومتى وفي أي مطبوعة)، ذكرتُ فيها ما ألخّصهُ هنا كل التلخيص وهو: أن الأصلة تعريب اليونانية (باصلة) المقطوعة من Basiliscos أي الملكة، ولهذا سماها بعضهم بهذا الاسم أيضاً (راجع الدميري)[1]، وسماها آخرون (المكللة)، (راجع الدميري في أصلة)، وظنها فريق أنها (الصِلّ) وليست كذلك، وسماها الفرس الأقدمون (شاهمار)، المركبة من (شاه) أي ملك، و(مار) أي حية. فيكون معناها الحية (الملكة) أو (المكللة). والآن يقول لها عوام العراقيين (شمهار) بالقلب.

ومن أسمائها: الباسيليق، على اللفظ اليوناني (راجع دائرة المعارف للبستاني في هذه المادة في حرف الباء).

ومن أسمائها: الصَّفَر والصُّفَار، والناظر، والدُّودَ مِس وابن قترَةَ، والمطفِئة، ومُطفئة الرَّضَف (وراجع ما كتبناهُ في المشرق ١٠: ٧١٨).

ـ وتكلمتَ على الدسَّاس في ص٢٢٢. وقد وضعتُ مقالاً عليها في المشرق ٢: ٣٤٧.

---

(١) (١: ٤٦)، (٢: ٣٨٩).

ـ ثم ٥: ٥٣٧ و٥٣٨ ولم تقل كلمة شافية على الفُرَانق، وقد تكلمتُ عليه في المشرق ١٣: ٨٢٨ إلى ٨٣١ وهو بالفرنسية: Caracal-Lynx.

٨ ـ حسنات الكتاب:

حسناتُ هذا المجلد لا تحصى ولا تستقصى، ولو تولّى غيرك العناية بنشر مثله لما استطاع قط، حتى لو أقام خمس سنوات أو ستًا لإبرازه بمثل الحُلّة التي أفضتَها عليه، لأنَّ التحقيقات والتدقيقات التي أتيتَ بها بلغت أبعد الغاية التي يصل إليها الباحث المتروّي المتدبر، وأنا أعدد شيئاً من هذه المحاسن:

١- إنك لم تعتمد على الجاحظ في إثبات بعض الآيات القرآنية، فإنَّك راجعت الأصل وأثبتَّه، كما فعلتَ في ص٣١٠ مثلاً.

٢- إني أقدِّر كل التقدير تعبك الناهك في مراجعتك بعض الأبيات الشعرية ومعرفة نسبتها إلى صاحبها الأصلي، وإلى أصحابها المختلفين، على ما نقلها الرواة، كما في حواشي ص٣١١ و٤١٣ و٤٤٥ وغيرها وهي جمة.

٣- مما أدهشني معرفتك لأصل هذه الكلمة ص٢٤٤: وفي بعض كُتُب الأنبياء: أنَّ الله تبارك وتعالى قال لبني إسرائيل: «يا أولاد الأفاعي»، فعلقت عليها في ش أنها من إنجيل متّى (٣: ٧) فلله درك من محقق مبرز على جميع الأقران، من شيب وشبان.

٤- وجدتك تراجع عدة مصادر لمعرفة صحة بعض الروايات لبعض الأبيات، وهذا أمر عجيب، إذ يدل على أنك صرفت ساعاتٍ طوالاً وأياماً كِثاراً لهذا التتبع المدهش.

٥- ألفيتُ تحقيقك اللغوي لا يقل بشيء عن استقرائك التاريخي والبلداني والشعري، وتراجم الرجال على اختلاف طبقاتهم وأزمانهم ومواطنهم، فمن هذا التحقيق

والتدقيق: ما أثبتّه في ص٦ بخصوص القِطمِير، وما جاء في ص٤٢٨ عن الخشفان، لكن قولك في ش: الخشفان جمع غريب للخشف، بتثليث الخاء....» أغرب. وأول كل شيء لم تضبط حركة الخاء بحركة في المتن ولا في الشرح. ثم أين الغرابة؟ هل في ورود إحدى هذه اللغات المثلثة على فعلان أم ماذا؟ زد على ذلك أن المصباح[1] ذكر بين جمع الخشف: الخشوف، وقد نسيتَه أنتَ، وأمّا ورود جمع فَعل المفتوح على فِعلان المكسور الأول، فمثالهُ: حَشّ وعَبْد ووَغد وثور... فتقول: حشّان وعِبدان ووغدان وثيران....، وجمع المكسور الأول مثالهُ: جِبٌّ وصِنوٌ وقِنوٌ ونير وخيطٌ...، وجمع المضموم الأول مثاله: كُور ودود وعود وسور....، فأين بقيت تلك الغرابة؟

٦- ما ذكرتَهُ في ش ٤٢١ بصدد الأربد صحيح، لا غبار عليه!

٧- وفي ش ص١٠٢: جاءَ كلامك على جعل ضمير العاقل لغير العاقل من أحسن ما يقال في هذا الباب!

٩ ـ خاتمة الرسالة:

كل ما ذكرته إلى هنا هو نتيجة مطالعة سريعة بسرعة قابس نارٍ، وكانت تقع تلك المطالعات والملاحظات في نحو خمسة أضعاف ما كتبتُ هنا. لكن أحد اللصوص الأشقياء سرقها مني كما سرق ساعتي الذهب التي كان الملك غازي ـ رحمهُ الله ـ أهداها إليَّ ذكرى لمؤلفاتي ومكافأته إياي عنها مع كيس الدراهم، وكنتُ سلختُ في كتابتها ١٢ يوماً، وما دونته هنا هو بعض تلك النقدات، ولا جرم أن السارق لمّا رأى أن تلك الأوراق لا تجديه نفعاً مزَّقها شرَّ ممزَّق. وكنتُ قد أفرغت فيها قوي فكري وجسمي فأَضْنَتْني إضناءً ونحن في بلدٍ حرُّهُ لا يطاق، وهواؤهُ خارج من فوّهات جهنّم، وقانا الله شرها!

---

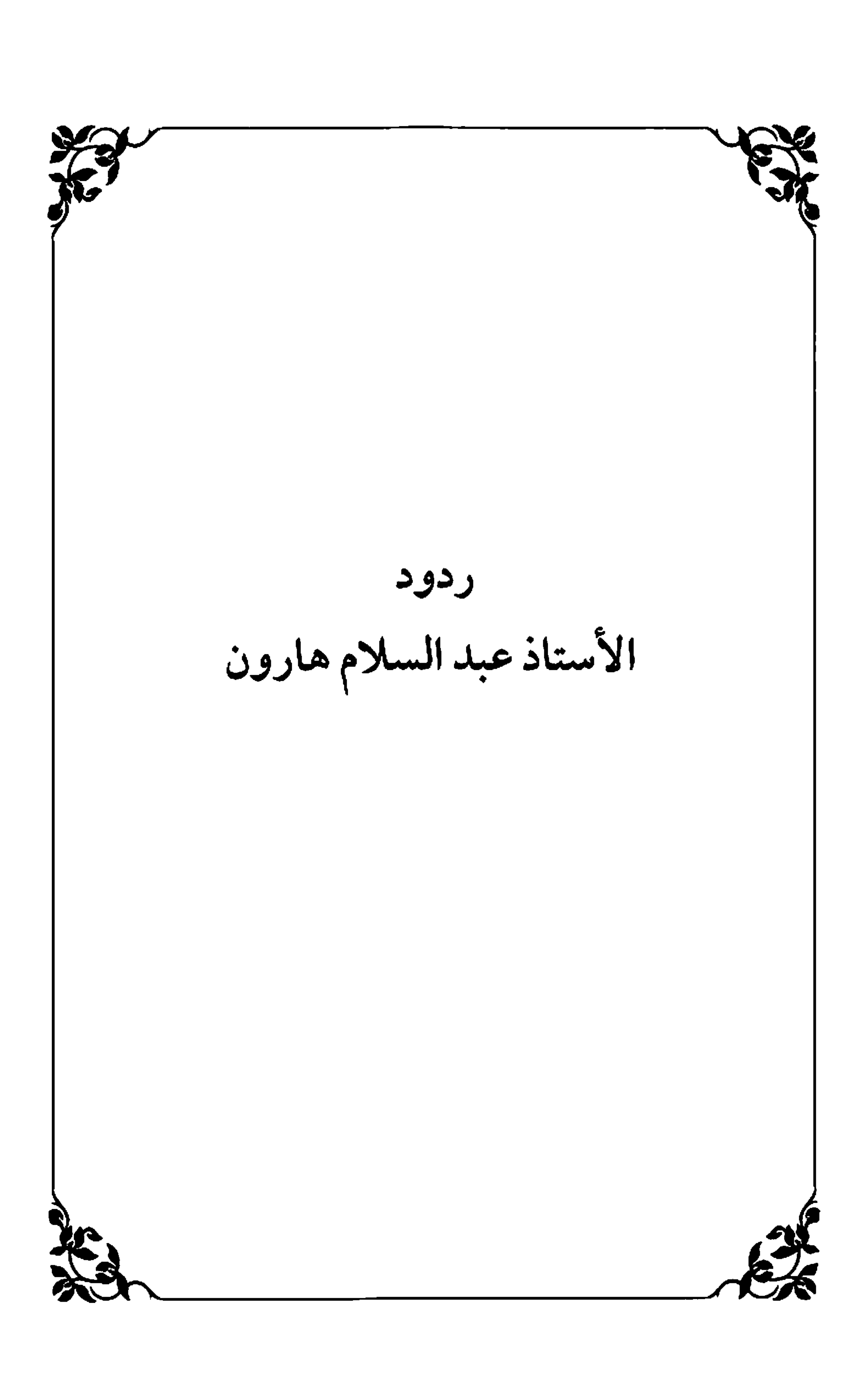
(١) (١: ٩١).

كنت أود أن أرى في كل صفحة من الصفحات المطبوعة أرقاماً تدل على عدد السطور ليسهل على القارئ إصلاح الأغلاط التي نبهتَ عليها في آخر الكتاب. وعسى أن تراجعني في مالا توافق عليه من تصحيحاتي لك، وكنتُ قد أنفذت إليك بملاحظات شتى على الجزء الثالث من كتاب الحيوان، فلم أرَ لها أثراً في المجلد الرابع، وكنتُ أتوقع أن أراها في آخرهِ مع نسبتها إليّ. وإلا فما الفائدة من إجهاد النفس وتحميلها مالا يطاق، وليس ثَمَّ أدنى عائدة؟ فعسى أن أعرف سبب هذا الإهمال، وإلا جمعت تلك النقدات في رسالة تنشر في مجلةٍ أو في رسالةٍ قائمة بنفسها، وفيها التحقيقات التي بذلتُ فيها الوقت والتعب والسهر.

وفي ختام هذه الكلمة، أهدي إليك تهانيَّ الصادقة بتحقيقاتك الدقيقة الدالة على تدبُّر بعيد المدى، وعلى تفكر نَيِّر. وأشكرك أصدق الشكر على هديتك هذهِ الثمينة.

الأب أنستاس ماري الكرملي

(بغداد)



ردود

الأستاذ عبد السلام هارون

الرسالة الأولى[1]

بلغتني رسالتك الكريمة، طيبة رائعة على صفحات «الثقافة» الغراء، فحمدتُ لك هذه الغيرة الصحيحة، ومن قبلُ ما شكرت لك تلك العناية البارعة في رسائلي الخاصة إليك.

وقد تقبّل الناس في مصر مقالاتك التي سطرتها في كتاب الحيوان، بخير ما يتقبلون به نتاجاً فكرياً مفيداً حقاً.

ولا جرم أنك قد تصفحت هذا الجزء الرابع من الكتاب تصفحاً تاماً، وظهرت على دقائقه وخفاياه، فكانت نظراتك فيه عميقة، وإلمامك كاملاً.

وكنت أردت أن أجتزئ بقراءة رسالتك، وأُفيد ما حوت من خيرٍ كثير، وجمعتُ من توضيح مشكلٍ وبيان عويص، وألّا أعارضها بما يظنه الغِر تطاولاً على مقامك الكريم، أو تحدياً لجليل علمك. كنت أردت ذلك، ولكن الحقَّ أبى عليّ ذلك، والحقُّ عزيز.

لذلك أستجيزك أن أكشف عن وجه الحقّ، فيما تضمنت رسالتك، راجياً ألّا يخطئني الإنصاف كما لم يفارقك، وأن أتسم بما اتسمت به من حب الحق، وتطلّب الحق.

ووجدتك قد قسمت رسالتك أبواباً، فسأتحدث في كل منها على النظام الذي اصطنعت.

---

(١) نُشرت في مجلة «الثقافة» العدد ١٠٤ الصادر في ٢٥ ذي القعدة ١٣٥٩، الموافق ٢٤ ديسمبر ١٩٤٠ (٣٠-٣٤).

١ ـ أغلاط الطبع:

٤٠٣ «قلا مكانه»، ليس خطأ في ذاتِه، لأنَّ الفعل واوي يأبى، يقال: قلاه يقلوه ويقليه، بمعنى: أبغضه.

٢ ـ أغلاط الضبط:

ـ ١٠٢ (البرستوج) قلتَ: صوابها (الترستوج)، مستشهداً بها في البرهان القاطع. ويظهر لي أنهما كلمتان تدلان على هذا النوع من السمك، فإنَّ صاحب القاموس قد ذكر الأولى، في فصل الباء من باب الكاف (برشتوك)، والفيروزابادي يعرف لغته معرفة جيدة، وانظر ما أضفتُ من تحقيق في هذه الكلمة، في حواشي الحيوان (٣: ٢٥٩–٢٦٠)، وكذلك معجم استينجاس ٢٤٢.

ـ ٤٤٥ (صارت لهم خراطيمُ)، لا وجه لتخطئة هذا الضبط. فمعناه: لهم خراطيمُ، والخرطوم: مقدم الأنف أي: ظهر فيها نتوء، وليس ما يشوب الأعراب، فكلمة (خراطيم) اسم لصار.

ـ ١٨٥ (وإذا كان ذلك [كذلك]).

قلتَ: لا حاجة إلى زيادة (كذلك)، ورأيت أن الكلام يستقيم بدونها، وأنا أوافقك في صحة المعنى بدون (كذلك)، ولكن أسلوب الجاحظ يطلب هذه الكلمة، ومن تمرَّس بأسلوبه عرف منه ذلك، ولكل كاتبٍ لازمات لا تكاد تفارقه، فأنت قلتَ في مجلة (الثقافة) (٩٨ص ٤٠): «الفاقئة في العين حصرما»[1]، وأنت القائل أيضاً قبل ذلك بتسع سنوات: «يفقأ في العيون حصرما»، وهي خاصة لك لم أرها لكاتبٍ غيرك، فالجاحظ التزم ذلك التعبير في كل موضع ورد فيه، وليس يمكنني إحصاء

(١) الجزء الثامن من كتاب الإكليل ص٣٠٦ س ٢٤، وقد نشره حضرة الأب في سنة ١٩٣١. (هـ)

المواضع جميعاً، ولكني أدلك على بعض مواضع من كتاب الحيوان فحسب. انظر (٢: ٩٧ س ١٧ ـ ١٨، ٣: ٢٠١ س٨، ٤: ٤٣٤ س٨).

ـ ٣١٨ قلت: إن (الشِّكل) بكسر الشين، غلط، والحق أنَّها صواب، وفي القاموس: «الشكل: الشبه والمثل، وبكسر» وجاء في بحر العوّام [1] ص٢٧: «وقرأ مجاهد: وآخر من شِكْله[2]»، فما تقول في لغةٍ مقروءٍ بها؟!

٣ ـ أغلاط الصرف:

ـ ٢٥٥ وردت كلمة (أظافره) في شعر، فقلتَ: إنه كان يحسن أن أنبه على خطئها، وجعلت صوابها (أظافير).

قلتُ: ليس في الكلمة خطأ كما حسبت، بل هو مذهب القرآن، ومذهب الكوفيين، إذ يجيزون حذف الياء من مثل هذا الجمع، كما يُجيزون زيادة الياء في نحو دراهم وصيارف، وحجتهم في ذلك القرآن الكريم: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] والأصل (مفاتيح) وقوله: «ولو ألقى معاذيره» الأصل (معاذره) إذ هو جمع (معذرة)، وجاء في الشعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

وقد وافق ابن مالك الكوفيين، فأجاز في سربال وعصفور: سرابل وعصافر، وفي درهم وصيرف: دراهيم وصياريف، واستثنى (فواعل) فلا يقال فيه (فواعيل) عنده، إلا شذوذاً. انظر لذلك همع الهوامع (٢: ١٨٢ س ٢٠-٢٣ طبع ١٣٢٧) وشرح الأشموني (٤: ١٣٢ س ١٨-٢٦ طبع ١٢٨٧.

---

(١) لابن الحنبلي طبع دمشق ١٣٥٦. (هـ)

(٢) سورة ص٥٨. (هـ)

ـ وفي ص٣٠٢ قلتَ: إن عبارتي (معجمي استينجاس وريتشاردسن) تعبير مولد، لا تعرفه لغة القرآن. وقلتَ: إنَّ معناه أن لاستينجاس معجمين، ولريتشاردسن أيضاً معجمين، تعني: أن المجموع أربعة..، وجعلت صوابها (معجم استينجاس وريتشاردسن). وليت شعري كيف نفرق بين وجهي هذه العبارة ـ التي جعلتها الصواب ـ إذا أريد بها مرة أن لكل واحد من الشخصين معجماً خاصاً، وإذا أريد بها مرة أخرى أنَّ الشخصين اشتركا في وضع معجم واحد؟ وقد أشرت إلى لغة القرآن، ولعلك تعني ما جاء في قوله تعالى: «على لسان داود وعيسى بن مريم» حيث أفرد (لسان). وهذه مسألة خلافية بعيدة عن مسألتنا، وهي مسألة الإضافة إلى متضمِّنين مفرَّقين[1] باعتبار أنَّ اللسان جزء من داود وعيسى عليهما السلام. وانظر تفصيلها والخلاف فيها في همع الهوامع (١: ٥١) في نهاية باب الجمع.

أمَّا مسألتنا هذه فهي إضافة ما ليس جزءاً مما أضيف إليه، فكلمة (معجم) ليست جزءاً من أحد الشخصين، ومذهب البصريين فيها أنَّ ما ورد على خلاف الأصل ـ وهو المطابقة ـ فمسموع وقاسه الكوفيون.

أمَّا ابن مالك فقاسه إذا أمن اللبس، واللبس في مسألتنا هذه غير مأمون، كما أسلفت. فما ذهبتُ إليه في عبارتي، هو الأرجح الأصوب عند النحاة.

ـ وفي ص٦٩: ٢٦ (كذا جاءا) قلتَ بلزوم (الواو) قبل العبارة لتصح، وليس ما يمنع صحة الكلام، لأني لم أقصد عطفاً، فما يدعوني إلى إقحام الواو؟!

ـ وفي ص١٧٦ قلتُ: (صخور ملساء) فقلتَ: الصواب (مُلس). عنيتَ أن الجمع المكسر لغير العاقل لا يصح نعته بفَعلاء، بل يصح نعته بفُعل جمع فعلاء. وهو مذهب يعترف حضرة الأب بأن أحداً من النحويين لم يصرح به.

---

(١) أي مفرقين بالعطف. (هـ)

وقد سمعتُ منك في مجلسٍ ضمَّ بعض الفضلاء أنك استقريت كثيراً من كلام العرب، فصحَّت لك هذه القاعدة، وخطأت بعض من حضر، في قوله: (الأيادي البيضاء).

وأنا أقول: ليس يكون تقييد قواعد الكلام بهذا النحو الذي جرى عليه حضرة الأب، فالنحويون القدامى كانوا أوسع علماً وأكثر إحاطة، وأدق انتباهاً إلى كلام العرب ومذاهبهم، منا نحن الذين لم نطلع إلّا على القليل الذي وصل إلينا مسطوراً مكتوباً، وهم كانوا يشافهون الأعراب في باديتهم، وكانت لديهم الذخيرة الفياضة من لغات العرب، فهؤلاء النحويون الأفذاذ الذين لم يعهد مثلهم في نحاة اللغات الأخرى، ولم يمنعوا ما منعت، ولم يحجروا ما حجرت، ولو أنهم وجدوا في كلام العرب ما يفهم منه ما ذكرت لما ترددوا في حظره، وهم قد أجازوا أن يوصف هذا الجمع بما يوصف به المفرد المؤنث نحو قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1].

على أنه قد جاء من النصوص المعارضة قول الجاحظ نفسه في الحيوان ٥: ١٠٧ س٢: «فتستحيل حجارة سوداء»، وقول ياقوت في معجم البلدان (٢: ١٩٣): «إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة»، وقد تقول إن إثبات الهمزة في (سوداء) من زيادة الناسخين، فلم لا تقول إن الناسخين أهملوا بعض الهمزات في نحو هذه الكلمة، إهمال تحريف، أو إهمال رسم[2]؟!.

ـ وفي ص١٠١ قال حضرة الأب: «الدجلة ليس بغلط إنما هي لغة ضعيفة»، واستشهد بها في (نزهة الجليس)، وببيت لابن الوردي، أما نزهة الجليس الذي اعتمدتَ،

(١) كليات أبي البقاء ٢٤٢. (هـ)

(٢) من قواعد علماء الرسم الأقدمين حذف الهمزة خطأ إن سبقت بساكن، فيكتبون نحو حمراء (حمرا). المطالع النصرية ٨٢. (هـ)

فكتاب لا يسوغ لعالمٍ أن يثق بما فيه، ومؤلفه رجل يطالعك بضعف اللغة، وركاكة التعبير، وهو العباس بن علي بن نور الدين المكي، فرغ من تأليفه سنة ١٢٤٨هـ وهو كتاب من كتب الرحلات، المليئة بالاستطراد المهوش، سرد فيه رحلته من مكة سنة ١١٣١ التي استغرقت اثنتي عشرة سنة، وطبع في القاهرة سنة ١٢٩٣.

وفي الحق أن كلمة (دجلة) جاءت فيه مراراً كثيرة، وهي محلاة بأل، ولكنها وردت في كلامه الذي هو من إنشائه، وذلك في أثناء حديثه عن رحلته إلى العراق[١] فهو يتحدث بلغة معاصريه، ولم ترد (الدجلة) في خبر معتمد أو شعر صالح مروي، إلاَّ في بيت ابن الوردي الذي رواه، وليس ابن الوردي أو نحوه حجة في هذا.

وتستطيع أن تضم إلى ما نقلت عن درة الغواص في منع دخول (أل) على (دجلة) قول ياقوت في معجم البلدان[٢]: «دجلة نهر بغداد لا تدخله الألف واللام»، وكذلك قول ثعلب ـ ورواه الجوهري في الصحاح[٣] ـ: «تقول: عبرت دجلة بغير ألف ولام».

وقلتُ: «فإن المعرفة لا تعرف» فقلتَ: «هذا كلام غير صحيح»، ولو أنَّ حضرة الأب واجه نحوياً أو منطقياً بما قاله، لما وجده مؤيداً له، أما المناطقة فيقولون عبارتهم المأثورة: «إن ذلك من تحصيل الحاصل»، وأما النحويون فلم نجد أحداً منهم ذكر لنا طريقة تعرف بها المعرفة! بل ذكروا لنا طرق تعريف النكرات[٤].

وأما الاستشهاد بالبصرة والحلة والموصل والشام، والفرات والنيل، فليست (أل) فيهن للتعريف، كما يرى حضرة الأب، بل هي ما يعبر عنها في عرف النحاة

---

(١) نزهة الجليس (١: ١١٥-١١٩). (هـ)

(٢) (٢: ٤٤٠). (هـ)

(٣) (٤: ٣٨١). (هـ)

(٤) وهي إدخال (أل)، والإضافة إلى المعرفة، والنداء مع القصد. (هـ)

بأنها (أل) الزائدة زيادة لازمة، وهذه الكلمات معرفات، لا بأل، بل بالعلمية، و(أل) جزء منها، قارن وضعه وضعها، كالجيم من جعفر والهمزة من أحمد[١]، وقد عبروا عنها بالزائدة لينهوا بأنها ليست للتعريف كالتي جاءت في نحو (الرجل).

وأما استشهادك بالحسن والحسين والعباس والكاظم، فهذا باب آخر، و(أل) فيها التي تسمى (أل التي للمح الأصل)، لا تفيد التعريف، بل يلمح بها الأصل، أي: ينقل النظر من العلمية إلى الأصل، أي: معنى الأصل الذي نقل منه العلم. وإدخال أل هذه على الأعلام المنقولة سماعي. وانظر حواشي الحيوان (٣: ٣٨٢).

ـ وفي ص٦١: (والحوايا: الأمعاء، واحدها حاوية)، قال حضرة الأب: «كذا، والصواب حَوِية».

وليس الأمر كما ظن حضرته، فإنَّ واحد (الحوايا) يصح أن يكون (الحوية) ـ كما ذكر ـ ويصح أن يكون (الحاوية) أو (الحاوياء)، وفي اللسان[٢]: «والحوية والحاوية والحوياء ما تحوى من الأمعاء...، والجمع: حوايا. تكون فعائل: إن كانت جمع حوية، وفواعل: إن كانت جمع حاوية أو حاوياء»، وهاك نصاً آخر في س ٢٣-٢٤: «أبو الهيثم: حاوية وحوايا مثل زاوية وزوايا»، ثم قال: «ومنهم من يقول حوية وحوايا»، وفي هذا الذي أوردت، دليل صريح على أن العبارة التي أثبتها في شرح الحيوان صحيحة سليمة.

ـ وفي ص١٤٦: أخذت عليَّ أني كتبت كلمة (ابن) بالألف في أولها لوقوعها في أول السطر، ورأيتَ أن تخضع هذه الألف لاعتبار واحد، هو وقوعها بين اسم الولد ووالده أو بين الولد وجده أو شهرته، فهذا مذهب قد ارتضيتَه أنت، وهو

---

(١) الأشمون والصبان (١: ١٩٢-١٩٣). (هـ)

(٢) لسان العرب (١٨: ٢٢٨ س١٩-٢١). (هـ)

مذهب صحيح، ولكني جريتُ على مذهب صحيح أيضاً هو السائد عندنا في مصر، أعني إثبات الألف في أولها إذا وردت أول السطر وقد أثبت هذا المذهب العلّامة نصر الوفائي الهوريني[1] في المطالع النصرية ص١٧١ س ١٧ طبع ١٢٧٥.

ـ وفي ص١٥٩: رسمتَ (وجاءوا) هكذا، فقلتَ صواب رسمها: (وجاؤوا)، ولا ريب أن الرسم الأول هو الذي جرى العرف عليه في مصر، وهو الذي لقّننا معلمونا ونُلقِّنُه تلاميذنا، وهو المذهب الصحيح، وهو أنَّ كل همزة بعدها حرف مدّ كصورتها تحذف، نحو قرءوا، تبوءوا[2]. ومعنى حذفها ألا تصوّر بواحدة من صورها الثلاث، وهي الألف والواو والياء[3]، ووضع القطعة التي هذا شكلها (ء) في محلها، أو فوق الياء أو الواو المصورتين بدل الهمز، أمر حادث بعد حدوث الشكل والإعجام[4].

وأمَّا إثبات صورتها في (جاءوا) أي: رسمها بواو هكذا (جاؤوا) فمذهب في الرسم ضعيف، ففي همع الهوامع (٢: ٢٣٤): «ومنهم من يجعل لها صورة».

---

(١) نصر أبو الوفاء ابن الشيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشافعي: عالم بالأدب واللغة، أزهري، من أهل مصر، أرسلته حكومتها إلى فرنسة إماماً لإحدى بعثاتها، فأقام مدة، تعلم فيها الفرنسية، ولما عاد ولي رياسة تصحيح المطبعة الأميرية، فصحح كثيراً من كتب العلم والتاريخ واللغة، قال الزركلي في «الأعلام» (٨: ٢٩): اقتصرت المصادر كلها على تعريفه بأبي الوفاء «نصر الهوريني» حتى كتبه وتعليقاته الكثيرة، وظفرت ـ بعد طول البحث ـ بنسخة من «خلاصة البيان في كيفية ثبوت رمضان» لمحمد الجوهري، كتبها الهوريني بخطه سنة ١٢٤٢هـ، وذيلها باسمه واسم أبيه، وكنيته وألقابه، وعنها أخذت ذلك في هذه الترجمة، والنسخة محفوظة في دار الكتب المصرية «رقم ٣٤٤ فقه الإمام الشافعي» انظر «فهرس دار الكتب» (١: ٥١٣).

(٢) وهي إدخال (أل)، والإضافة إلى المعرفة، والنداء مع القصد. (هـ)

(٣) المطالع النصرية ٦٦. (هـ)

(٤) وهي إدخال (أل)، والإضافة إلى المعرفة، والنداء مع القصد. (هـ)

ـ وفي ص ١١٢: (المغناطيس) بكسر الميم، قلتَ: الصواب فتح الميم كما في جميع المعاجم العربية المعتمدة، فما تقول في أنها ضبطت في القاموس ضبط قلم بالكسر، وضبطت في المعيار للشيرازي ضبط تعيين بالكسر أيضاً، وعنهما نقلت. وأما (محيط المحيط) فلم تنل مكتبتي شرف الحصول عليه، على أن ضبط هذه الكلمة المعربة بالكسر أقرب إلى الأوزان العربية.

ـ وفي ص١٣٢: (يستخبر الريح)، قلتُ: الصواب ما في اللسان والقاموس والتاج (يستمخر)، وأن لم يفتني أن أنبه على هذه الرواية في الاستدراكات ٥٢٦. أمّا الرواية الأولى التي هي صحيحة أيضاً، وليس ما يضعف من قوة معناها وجزالتها، فهي: الرواية التي وردت في البيان (١: ٧٢) والحيوان (١: ٣٤، ٤: ١٣٢) فهي: رواية الإمام الجاحظ.

وفي ص١٥٦ قلت: إني (أثبت خرافة الفُرانق)، وقد غاب عن حضرة الأب أن تفسير تلك الألفاظ الخرافية بما يوضح معناها التاريخي، ليس يعني به إثبات تلك الخرافات، فإذا قلتُ: الغول وحش صحراوي يتشكل أشكالاً ويتلوّن ألونا ـ وأنا رجل يعيش في القرن العشرين ـ فليس معنى ذلك إلا أنني أفسر تلك الكلمة بمعناها التاريخي، وليس واجباً علي أن أصخب وأقول: إنَّه أمر خرافي لا يقره العقل، ولا يقبله الفكر، وإذا كنت أنشر كتاباً تاريخياً وورد في تضاعيف عباراته ذكر إيزيس (Isis) مثلاً، وفسرتها بأنها هي التي جمعت أجزاء جثة زوجها أوزيريس (Osiris) وردّتْها إلى الحياة، وأعقبت منها ولدها هوراس (Horus)، أئذا فسرتها على هذا النحو أكون مشاركاً لقدماء المصريين في اعتقاد هذه الخرافة؟! على أن الجو الذي وردت فيه الكلمة، يحكم عليها قبل أن أحكم أنا عليها.

ويؤسفني أن يتوهم حضرة الأب أن فكري، أو فكر أي معاصر مثقف، يقبل ما هو ظاهر البطلان، وما يصرخ في نفسه بأنَّه خرافة ظاهرة، وقد أخذ عليّ حضرة الأب مآخذ أخرى شبيهة بهذه، سوف أشير إليها إشارات يسيرة في مواضعها.

ـ وفي ص١٧٣: قال الجاحظ: «وليس للحيات سفاد معروف ينتهي إليه علم، ويقف عليه عيان، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يرون من ملاقاة الحية للحية، والتواء كل منهما على صاحبه»، فجَعَلَتَ صوابها «من ملاوة الحية للحية»، وفسرت الملاوة بأنها المجامعة، وهذا حسن في ذاته، ولكنه يقلب عبارة الجاحظ رأساً على عقب، فهو يقول: إنها لا يعرف لها سفاد معروف ينتهي إليه علم ويقف عليه عيان، فكيف يقول: لا يقف عليه عيان، ثم يقول بعد ذلك: إن الناس يرونه ويعاينونه؟! فوضح بعد ذلك أن عبارة نسخة الحيوان صحيحة لا يعوزها علاج، وأن علاجها على النحو الذي رأيتَ يسقمها بلا ريب.

ـ وفي ص١٧٦: جعلت (الشجاع) مأخوذاً من اليونانية Siga أو Sige، بمعنى: الإطراق والسكوت، وهذا حسن إن تحقق، ولكن العرب كما يعرف حضرة الأب، قد وسعت لغتهم دقائق وافرة في الحيات، ففيها أسماء كثيرة لأنواع كثيرة فصَّلوها تفصيلاً، وبلادهم بلاد الحيات، فهم في غنى عن أن يستجدوا أسماءها من اليونان أو غير اليونان، ما وجدوا مندوحة، وكتب اللغة العربية تفيض وتزخر بكثير من الألفاظ الخاصة بالحيات، وكتاب المخصص لابن سيدة يذكر لنا علماً واسعاً، ويرينا دقة ظاهرة في تفصيل العرب لأنواع كثيرة من الحيات[1]، فالشجاع مأخوذ من الشجاعة، والنكَّاز من النكز، والأرقم من الرقم، والعرماء من العَرَم، وهكذا.

ـ وفي ص١٩١: (ولا أعشق) جعلتَ صوابها (ولا أعبق)، وهو وجهٌ جيد صالح إذ قرنتها بالكلمة التي قبلها، وهي (أعلق). وقد وجهتها أنا في التذييل ص٥٢٨ بأن تكون (أعنق) بمعنى أسرع، وهذا وجه جيد صالح ـ فيما أرى ـ إذا قرنها بالكلمة التي بعدها، وهي (أسرع) فهما وجهان.

---

(١) المخصص (٨: ١٠٦-١١٦). (هـ)

ـ وفي ص٢٤٨. قلتَ: «المراد هنا بالحلي الـخلاخيل ذوات الجلاجل»، ثم استطردتَ، وتقييد تفسير الحلي بأنه الخلاخيل ذوات الجلاجل وحدها، ليس ما يثبته، وفي الصفحة نفسها من شعر النابغة:

«لحَلي النساء (في يديه) قعاقع»

ـ وفي ص٢٨٥: قول الراجز: «بين حوافي سدِرٍ وصخر» قلتَ: «الصواب سِدَر كعنب أو سُدُر كعنق، وهي جمع سدرة وهي شجرة النبق»، ويمنع من صحة تفسيرك كلمة (حوافي) التي هي جمع حافة، بمعنى: جانب البحر أو النهر، وقد تقول إنَّ (الحافة) تكون بمعنى جانب أي شيء ولكن البيت قبلها يعين المراد منها، وهو:

«يظل في مرأى بعيد القعر»

والمراد ببعيد القعر هنا: الماء العميق لا جرم، وانظر لحيات الماء ما جاء في الحيوان (٤: ١٢٨، ٢٣٧).



الرسالة الثانية[١]

ـ وفي ص١٧٩ (التاء المفتوحة) بمعنى المبسوطة هكذا: (ت)، قلتَ: إنها من غريب مصطلحاتي، والحق أنها مصطلح متوارث عندنا نحن المصريين، ورثه آباؤنا عن آبائهم، وورثناه عنهم، ونحن الآن نلقنه أبناءنا وتلاميذنا في جميع مدارسنا، ولهذا المصطلح نظير آخر، هو التاء المربوطة (ة) وهو اصطلاح من اصطلاحات علماء الرسم المتأخرين، والمتقدمون منهم يطلقون عليها اسم الهاء فقط، ولا مشاحة في الاصطلاح، كما يقولون.

على أن التاء المبسوطة التي ذكرتُ، يُعبر عنها بعض العلماء بالتاء فقط، بدون زيادة شيء، وبعضهم يسميها: التاء المجرورة[٢].

ـ وفي ص١٨٤ (مسألة: مصدر ميمي) قال حضرة الأب: «والمصدر الميمي لا يختم بهاء، على ما راجعنا كتب القوم»، ولست أدري أيَّ كتب القوم عنيت؟! فإنَّ المصادر الميمية المختومة بالهاء كثيرة، ذكر بعضها سيبويه في كتابه (١: ٢٤٧-٢٤٨ طبع بولاق)، وسرد الإمام الرضي في شرح الشافية (١: ١٧٠-١٧٤ طبع ١٣٥٧) طائفة صالحة منها، ومن ذلك: محمدة، ومذمة، ومعجزة، ومظلمة، ومعتبة، ومهلكة، ومعرفة، ومغفرة، ومعذرة، ومعصية، كما أن المعاجم اللغوية تكلفت بإثبات ما ورد على هذا النحو. وفي القاموس[٣]: «سأله كذا وعن كذا وبكذا بمعنى، سؤالاً، وسآلة، ومسألة، وتسآلاً، وسألة» فذكر بينها المصدر الميمي (مسألة).

---

(١) نُشرت في مجلة «الثقافة» العدد ١١٠ الصادر في ٨ محرم ١٣٦٠ الموافق ٤ فبراير ١٩٤١ (٣٢-٣٤).

(٢) انظر «المطالع النصرية» ١٤٢، والصبان (٤: ١٨٨ س٢٢ بولاق). (هـ)

(٣) (١: ١٣٠٧) (هـ)

ـ وفي ص٢٠٣: (غشوشة) ظنُّكَ أنها جمع (غِش)، وتأوُّلك لذلك بها تأولت فيه كثير من العسر، والأقرب أن تكون مصدراً مفرداً في وزان السهولة والليونة والصهوبة والكدورة.

ـ وفي ص٢٥١ جاء في المتن: (سجَرت التنّور)، وفي الشرح: (سجرت التنور: أحميته وأوقدته).

قلتَ: الصواب (أحمته)، ولعل سبب الإشكال أنك قرأت عبارة الشرح مطابقة لعبارة المتن، وذلك أمر لا يلتزمه المفسر، إذ أن من المذاهب الشائعة في تفسير الكلمات أن ينسب المفسر الكلام إلى نفسه، فأنا أردت في الشرح أن أقول (سجرتُ التنور) أعني بتاء المتكلم، وقرأتها أنت بتاء المؤنثة، فمن ذلك ما حدث الخلاف والشبهة، وتجد حضرتك أني فسرت (نَقَتْ عظتمَها) في س٩ بقولي: «نقي العظم نقياً: استخرج نقيه»، ولم أقل (نقت عظامها: استخرجت نقيها).

ـ وفي ش ص٢٦٩: «والحوّاء بالضم: جمع حاو. وهذ الجمع ليس قياسياً، ولا مما ذكرته المعاجم»، فقلتَ إنَّهُ (قياسي ومبتذل)، والحق أنه ما قيس ولا ابتُذل، إذ أن جمع الوصف من فاعل على فُعَّال مطرد حقاً، ولكن في غير المنقوص، أما المنقوص منه فجمعه على فعَّال نادر [١]، وهذا ما عنيتُ بقولي أنه ليس قياسياً.

وما ذكرتَ من الأمثلة الكثيرة، جلُّه غير منقوص فلا يُحتج بكثرته، وليس فيهن من المنقوص غير (جانٍ، وصاد)، فهاتان من النادر، كما ندر أيضاً غازٍ وغُزَّاء، وسارٍ وسُرَّاء. وفي ذلك ما قال ابن مالك:

وفُعَّـــل لفاعـــل وفاعلـــه　　وصفين نحو عـاذل وعاذلـه
ومثلــه الفُعَّــال فــيما ذُكــرا　　وذان في المعَــلِّ لامــاً نــدرا

(١) همع الهوامع (٢: ١٧٧) والأشموني (٤: ١١٦). (هـ)

٤ ـ أوهام في الآراء:

ـ وفي ش ٢ من ص٧١ قلتُ: إن يأجوج ومأجوج (جنس من الأسيويين) فعقَّبتَ على ذلك بقولك: «وهذا الخلق لا وجود له في الدنيا كلها، والذي أعرفه....» إلخ. وليس بين القولين أي تعارض أو أي تضارب فموطنهم (سقوتيا) الذي ذكره الهمداني هو إقليم آسيوي بلا ريب، وقد جعلهم الهمداني أصحاب الإقليم السادس[١]، وجعل حد الإقليم السادس أرض الصين إلى نهر بلخ إلى الشام الذي يلي المشرق[٢]، أفلا يتضح من هذا أن يأجوج ومأجوج، أو السقوتيين (جنس من الأسويين)؟!

ـ وفي صفحة ٢٠٥ و٢٢٥ و٢٠٠ و٢٠١: أخذتَ عليَّ أني لم أعلق على هذه المرويات بأنها خرافات (تفقأ في العين حصرماً)، فكأنَّ حضرة الأب قد زعم لنفسه أني أُقر هذه الخرافات، ولا وحقك ما كان من دأبي تصديق خرافة! وما يكون لرجل من غيري، نصب نفسه لدراسة هذا الكتاب العجب، أن يتعثر في تمييز ما هو خرافة ظاهرة، وأن يتبين فصل ما بين الأباطيل والحقائق، فخرافة الشوك (٢٠٥)، وخرافة انسلاخ البرغوث بعوضة (٢٢٥)، مصدَّرتان بكلمة (زعم)، وهذا يكفي للتنبيه على خرافيتها.

وأما مرويات كعب الأحبارَ في (٢٠٠ و٢٠١)، فإن القارئ الذي تحدثه نفسه بقراءة كتاب الحيوان، ليس يفتقر إلى أعلام تنصب له في طريقه، كي لا تضل به السبيلُ حين يقع بصره على هذه المروريات، ذات الشهرة الخاصة.

وأما كتابة (يحيى بن برمك) بإسقاط الألف، مع أن (برمك) جد يحيى، لا أبوه فهو المذهب الصحيح من مذاهب علماء الرسم[٣]. على أن الحجاج في الرسم

(١) صفة جزيرة العرب ص٦ س٨. (هـ)

(٢) صفة جزيرة العرب ص٦ س٢٠. (هـ)

(٣) المطالع النصرية ١٧٤ س ١١. (هـ)

أمر لا يجدي فتيلاً، فمن المؤسف أن الرسم لا يمكن جمع الناس فيه على مذهب خاص دون سواه، مهما حاول المحاولون.

ـ وفي ص٤٨٣ ذكر (كنيسة القُمامة)، المعروفة بكنيسة القيامة، وقد أثبتُّها بالميم، اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦: ٦٢ ساسي)، وعلى ترجيح ياقوت لهذه التسمية وقد رأيت حضرتك أنه (لا يجوز لأحد أن يحقق هذه التسمية غير النصارى)، وهذه عاطفة مشكورة نجلُّها ونحترمها.

ولكنني أعرف أنَّ التاريخ ملك للبشر جميعاً، يتداولونه بينهم بالبحث والتفتيش، والامتحان والتحقيق، وأنت ترى أن غير المسلمين ينظرون في تاريخ المسلمين ويحققونه، وتقبل منهم أقوالهم وأفكارهم ما كانت مستقيمة صالحة، ويرحب بها ترحيباً خاصاً، وياقوت حين عرض لتحقيق اسم الكنيسة، لم يشب تحقيقه غرض أو يخالطه هوى، فهو يتحدث عن تسمية كانت معروفة متعالَمة، ومنذ القرن الثالث الهجري على الأقل، ولا ريب أنها غبرت دهراً طويلاً معروفة بذلك بين الناس، كما أن هذه التسمية لم تقتصر على الجو العربي فحسب، بل هي سارت أيضاً في اللغة الفارسية عن طريق اللغة العربية. ففي معجم استينجاس الفارسي الإنجليزي ص٩٨٨ تجد هذا النص: Kanisatu' l-qumama, The church of the holy sepulchre at Jerusalem .

تفسيره: (كنيسة القمامة: كنيسة القبر المقدس بأروشليم)، وسواء أكان ياقوت مخطئاً في تعليل هذه التسمية أم مصيباً، فهي تسمية شاعت حيناً، وهي التسمية التي عناها الجاحظ بلا ريب[١].

وأنا إنما أثبتها تحقيقاً لنص الجاحظ، لا تحقيقاً للوضع التاريخي الذي يجب أن يكون، فإنَّ مهمة كل ناشر أن يجتهد في إثبات النص اللفظي الذي أراده المؤلف.

---

(١) انظر تعليلا آخر لتسمية كنيسة قمامة في القاموس (قمم). (هـ)

وأنت تجدني في ص٤١٥ قد أثبت نص الجاحظ في رواية بيت الحارث بن حلزة اليشكرى، مع يقيني بأنها رواية مخطئة فاسدة، كما نبهت عليه.

وليس من الغريب في الأعلام العمرانية أن يتعاور اسمان مختلفان مسمى واحداً، فالمدينة سميت بيثرب وبالمدينة، وبكل نطق القرآن[1]، ومكة قيل فيها (بكة) أيضاً، وبكل جاء القرآن[2]، وأحياناً تمحو التسمية الجديدة نظيرتها القديمة وتعفى عليها، فلو أن صاحب الهرم بعث من مثواه، وعرض عليه اسم الهرم أو ترجمة معناه لأنكره إنكاراً وغلب عليه العجب، ومن يدري؟ لعل اسمه بعد دهر يصيبه تغييراً!

ـ وفي ص٣٣٦ ش٥: «الصومعة كجوهرة: بيت للنصارى سمي بذلك لدقة في رأسه»، فقلتَ: الصومعة، كلمة لاتينية من Summa، ومعناها القمة وكل شيء دقيق.

ولست أدري لم نفر من الاشتقاق العربي مادام مستفيضاً جامعاً في مادة من المواد؟! فالمعنى السائر في مادة (صمع) العربية هو: دقة الأعلى، فالصمعاء: المدملك المدقق من النبات هو دقة الأعلى، فالصمعاء: المدملك المدقق من النبات، وكل برعومة لم تتفتح بعد، والصومعة: البرنس، وذروة الثريد، ويقال: صومع الثريدة: إذا دقق رأسها. ومنه قول الراجز[3].

قـد دقّـه ثـاردهُ وصـومعا ثمت ألبان البخـاتي جعجعـا

ونحن لا نستطيع أن نحكم بتعريب كلمة قبل أن نعدم وجود أصل لها من الاشتقاق اللغوي العربي، فإذا وجدنا الأصل ووجدنا معه النظائر، كان من الظلم البيّن أن ننفي عن الكلمة نسبتها إلى العربية.

(١) سورة الأحزاب ١٣، والتوبة ١٠١.

(٢) سورة الفتح ٢٤، وآل عمران ٩٦.

(٣) الحيوان (١: ٢٣٦). (هـ)

٥ ـ ما غمض تحقيقه:

ـ وفي ش ص٤٨٨ تفسير الشهاب، بأنه ينقض على أثر الشيطان بالليل ويقذف به، وهذا تفسير ديني عناه الجاحظ ويعرفه عامة المسلمين، وأنا مكلفٌ بتفسير عبارة الجاحظ على النحو الذي عَنىَ، فقول الجاحظ: «كأنه شهابٌ قُذِف»، لا يحتمل غير هذا التأويل، وكان من المستحسن أن تتمهل حضرتك قليلاً فيما حكمت به، فأنا قلت إثر كلامي السابق في حواشي الصفحة: «وفي الكتاب: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. وأضيف إلى ذلك قول الله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]. وقوله ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩]. وقوله: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

وأمّا التفسير العلمي، الذي يعرفه طلبة الفرق الدنيا من مدارسنا الثانوية بمصر، فإنه لا يتنافى مع هذا التفسير الديني ولا يعارضه، فمع وجود السبب العلمي قد توجد العلة الدينية، ليس في ذلك ريب.

وقد جاء في القرآن الكريم في شأن مدينة سدوم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] وجاء في سفر التكوين (١٩ : ٢٤-٢٥): «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض»، فالعلة الدينية لتخريب سدوم هو العقاب الإلهي على إجرام أهلها وشدة فجورهم، والسبب العلمي الظاهر: هو زلزال وانفجار جبل للنار، أمطر أهلها بالحمم والقذائف المهلكة، وقلب أرضهم وديارهم، ونسبة الحجارة إلى الجحيم والسماء إشارة إلى العقوبة الإلهية، وهذا مثل من أمثلة.

الرسالة الثالثة[1]

٦ ـ مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية:

فاتني حقاً أن أنسب بعض الكلم الأجنبية إلى لغاتها، وأشكرك على استدراكك لما فاتني من ذلك حقَّ الشكر، وليس ينقضي عجب الناس وعجبي من صدق غيرتك، وواسع علمك.

وجدتك تنكر عليَّ في ش ص١٠٧، مقابلتي للجندب بكلمة: grasshopper الإنجليزية، وقلتَ: إنها تعني الجرادة، والحق أنَّ الكلمة لا يقصد بها إلّا (الجندب) ذلك النوع الصغير من الجراد، الذي يتميز بالقفَزَان والصريرّ[2]، ففي مادة grasshopper من دائرة المعارف البريطانية ص٦٥٨ من المجلد العاشر[3].

(They are especially remarkable for their leaping powers, due to the great development of the hind legs and also for their stridulation Which is generally, but not always, a function of the male only).

وعلى ذلك الوجد الصحيح ترجمت الكلمة في معجم المعلوف والقاموس العصري ومعجم Wartabet وسائر المعاجم الإنجليزية العربية المتداولة، فقولك (أما الجندب فلا مقابل له بالإنكليزية.....) إلخ، ليس صحيحاً كما رأيت.

---

(١) نُشرت في مجلة «الثقافة» العدد ١١٦ الصادر في ٢٠ صفر ١٣٦٠، الموافق ١٨ مارس ١٩٤١ (٣٠-٣٢).

(٢) القاموس واللسان والمخصص (٨: ١٧٦). (هـ)

(٣) الطبعة الرابعة عشرة سنة ١٩٢٩. (هـ)

أما الجرادة: فالذي يقابلها بالإنجليزية locust، كما يتضح من دائرة المعارف البريطانية (١٤: ٢٩١-٢٩٢) حيث ترى وصفها وشكلها الناطق، والجراد نادر الوجود في بلادهم، وهم يؤرخون رحلاته النادرة إليهم، كما في ص٢٩٢[١].

ومما هو جدير بالذكر أن كلمة locusts كثيراً ما يراد بها (الجنادب)، ولكن في الاستعمال العامي أو غير الدقيق، ففي دائرة المعارف البريطانية grasshopper ما يأتي:

(.. the name locust is often appllied to any member of this family, in its strict usage the term only refers to certain destructive species).

ـ وفي ش ص٣٧٤: (خارطيس) اليونانية، قلتَ صوابها: (خارتيس) إذ ليس في لسان اليونانيين طاء، وهذه عبارة ظاهرية بحتة، فالحق أنَّ الطاء حرف مشترك بين اللغات جميعاً، ولو لم يفرد لها حرف خاص، وليست الطاء تاءً ثقيلة، فالتاء في نحو كلمتي: tall الانجليزية، وmonotone الفرنسية: هي طاء في الحقيقة، بل هي أشد من الطاء العربية التي في نحو: إطار، وسطر، فالقول بأن الطاء لا وجود لها في اليونانية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات، غير منضبط على الواقع.

ومثل الطاء في ذلك الصاد، فالصاد لم يفرد لها حرف خاص في اللغات الأوربية، بل يعبر عنها بحرف السين (S) أو (C) في نحو كلمة: Facon الفرنسية.

وضّاعة كعصي الشــرع جؤجـؤه كأنــه بتنـاهي الـروض علجـوم

ـ وفسرتُ (العلجوم): بأنه البعير الطويل المطلي بالقطران، فاعترضتَ باعتراضين، أما أحدهما فقولك: إن المراد بكلمة (العلجوم) هنا: (طائر عظيم أبيض)، وأما الآخر فقولك:

«من أين لك هذه الزيادة: المطلي بالقار[٢]»

---

(١) انظر أيضاً: Universal Childrcn,s Dictionary ص١٨٩٨. (هـ)

(٢) سها حضرة الأب في النقل، فإنَّ اللفظ الذي أثبته في حواشي الحيوان هو: (المطلي بالقطران). (هـ)

أمَّا الاعتراض الثاني: فإنك تجد جوابه في شرح المفضليات لابن الأنباري ص٨٠٤ س١٠-١١، طبع بيروت ١٩٢٠، وفيه هذا النص: «والعلجوم: البعير الطويل المطلي بالقطران».

وأما تفسيرك للعلجوم فصحيح، ونطق به بعض العلماء بالشعر، كما في شرح المفضليات ٨٠٥ س٥، وفيه أيضاً: «ويقال هو الليل، فشبّه سواد الظليم بسواد الليل»، لكن الرأي المقدم في تفسير الكلمة أن تؤول بالبعير، وتجده أول الأقوال عند ابن الأنباري، ويؤيد هذا الشرح أن كلمة (وضَّاعة) في أول البيت مأخوذة من صفة البعير الذي يضع في سيره، ومنه قول دريد بن الصمة[1]:

يـا ليتنـي فيهـا جـذع أخـب فيهـا وأضـع

والشعر العربي أقوى درجات تفسيره أن يؤوَّل بالنظائر والأشباه، ولذلك يخطئ كثير من الذين يعمدون إلى المعاجم ونحوها، ليفسروا بها الشعر العربي، دون أن يلتفتوا إلى أجواء المعاني العربية، وهي متقاربة متناوحة، يأخذ بعضها من بعض وينظر إليه، فما ورد شبيهاً بالبيت السالف، قول طرفة[2]:

ومكـانٍ زعـلٍ ظِلمانُـه كالـمَخَاض الجُربِ في اليوم الخَصِر

فانظر كيف شبه الظلمان بالمخاض من الإبل، وقيد المخاض بأنه (الـجُرب)، لما أنها تكون سوداً بما طليت به وهُنئت من القطران، وهو قد اختار اليوم (الخِصر) لما أن البرد يكثّف الهَنَاء فيظهر سوادهُ ويحلك، كما أنه يظهر حمرة التقشر فيما برئ من مواضع الجسد، وهو تصوير دقيق رائع في تشبيه الظلمان بالإبل، إذا لحظنا تجرد عنق الظليم وفخذيه من الريش وحمرتهما.

---

(١) السيرة ٨٤١ جوتنجن، وإمتاع الأسماع للمقريزي (١: ٤٠٢) (هـ)

(٢) مختارات ابن الشجري ٤٣ طبع ١٣٠٦. (هـ)

والعرب أباً يشبهون الإبل بالنعام، ويشبهون النعام بالإبل، لما هو واضح من اشتراكهما في كثير من الخَلْق والخُلق، والأول كثير. ومن الثاني قول لبيد[١]:

وخَيطاً من خواضب مزلفات كأنّ رئالَها وُرْقُ الافالِ

إذ شبَّه صِغار النعام بصغار الإبل الوُرق.

٧ـ ملاحظات شتى:

في حديثك عن ش ص٢٧٠: قلتَ نصَّ ابن سيده في المخصص (٨: ١٧٣): «والتأشير أيضاً: الأثناء، وهي عقدة في رأس الذنب (ذنب الجرادة)، كالمخلبين، ويقال لهما الأشرتان»، وبنيتَ على كلمة (الأثناء) ما بنيت.

والحق أن كلمة (الأثناء) محرفة عن (الأُشرة) بالضم، وهي بمعنى: (التأشير)[٢]، وكيف يجعل ابن سيده (الأثناء) المجموعة، تفسيراً للكلمة المفردة، أعني (التأشير)، ثم ينتكس مرة ثانية، فيفسر هذه الكلمة الدالة على الجمع بما يفسر به المفرد المؤنث؟! إن ذا لدليل قطعي على التحريف.

وقد عقّب ابن سيده بقوله: «ويقال لهما الأشرتان»، يشير بذلك إلى أن تلك العقدة التي تشبه المخلبين المنضمين يفرد لها اللفظ حيناً فيقال (الأُشرة)، ويثني حيناً فيقال: (الأشرتان). فهل لحضرة الأب أن يرى معي أن ما ذهب إليه قد بعُد به عن الصواب؟! فقول أبي النجم في نعت الأفعى:

تأسيرها يحتك في تأسيرها

صحيح لا تحريف فيه، ويراد بكلمة (التأسير): الجِلْد وأصل معنى التأسير: السَّيْر، كما أثبت في شرح الحيوان، وقد قال الراجز بعده:

مرَّ الرحى تجري على شعيرها

(١) الحيوان (٤: ٣٦٠). (هـ)

(٢) القاموس وتاج العروس واللسان. (هـ)

فليس يكون هذا الصوت الشديد للأثناء التي طننتَ، والجاحظ يحدّثنا أن تلك الحزوز والأثناء التي في بطن الحيّة لم توجد بعين ولا لمس[١]، وليس لها خاصّية في إحداث الصوت، وإنَّما يكون الصوت من عامة الجلد، وخاصة إذا كانت الحية في دور السلخ، فإنه يسمع لجلدها ـ إذا قارب الانفصال وتلوّت الحية ـ كَشِيشٌ واضح عالٍ. وفي ذلك يقول الراجز في صفة شَخْب الناقة حين تحتلب[٢]:

كأن صوت شخبها المـرفضِّ كشيش أفعى أجمعـت لعـض

فهي تحك بعضَها ببعض.

وفي ص١٥٥: تحدثتَ عن (الأجدهاني) حديثاً ممتعاً قيماً، فبهرتَ الناس بها أنك محقق قادر، وبها أنك خطير، وقد وجدتك تقول: «وأما أن الجاحظ يرى أن هذا القول من أحاديث الباعة والعجائز فليس صحيحاً، لأنَّه يُرىَ مدوّناً في أسفار مثقفيهم الأقدمين»، فهل هناك تنافٍ بين قول الجاحظ وما ذكرت؟! أوليس الباعة والعجائز عندنا يتكلمون بها في أسفار الأقدمين، مما يجري على مذهبهم من حب الإغراب والتعجيب؟! وقد سمعنا العجائز يحدّثننا بأخبار وأقاصيص مسطورة في كتب الأولين، وكن يتزيدن فيها حيناً ويغربن آناً، فيخلعن بذلك عليها مسحة من جمال.

وظننتَ أن (الباعة) محرفة عن (الباغية)، وجعلتَ تؤيد مذهبك تأييداً، ولستُ أدري ماعدا بك عن (الباعة)، أوَليس يتحدثون ويكثرون من الحديث؟! أوَليس قد جَبَل الله كثيراً منهم على الكذب والتزيد، والمبالغة في الاختلاف والبهرجة؟! وهم من قد رأيت كثرةَ حلفٍ، وقوة تصنّع، ولَباقةَ حديث، وكأيّن من بائع طلّق زوجه

---

(١) الحيوان (٤: ٢٧٥ س١-٢). (هـ)

(٢) المخصص (٨: ١١٥) والخزانة (٤: ٥٧١ بولاق) والحيوان (٤: ٢٣٣). وفيه بقية المصادر. (هـ)

مئاتٍ ليحتال على عميله بها يحتال! وقد عرف الجاحظ ذلك منهم، فأضاف إليهم خبراً غريباً في موضع آخر من الكتاب[١]: «ولم أجد أهل سكة اصطفانوس، وباب جاريةَ وباعةَ مربعة بني منقرٍ يشكّون.....» إلخ. فليس في الكلام تحريف كما رأيت.

- وفي ص٣١٤ س٣: (ولا تستمري) قلتَ: «والأفصح همز الآخر، وقد تكرر هذا الخطأ مراراً».

أما أن الهمز هو الأفصح فإنه صحيح لا جدال فيه، وأما قولك إن ترك الهمز خطأ فلا وجه له من الصحة، إذ أن تخفيف الهمزة في مثل هذا جائز جوازاً مشهوراً، فكيف خفي عليك؟! وأنا لم أسقط الهمزة من الكلمة، بل ذلك من صنع الجاحظ، وله الخِيَرَة فيما يقول.

فهذه الهمزة المضمومة، المتحركُ ما قبلها بالكسر، يجوز تخفيفها بلا جدال، ولكن تخفيفها على ضربين: فمذهب سيبويه أن تخفف على طريقة (بينَ بينَ)[٢]، ومذهب الأخفش قلبها ياءً[٣]، وقد وجدتُ كثيراً أن الجاحظ يميل إلى تسهيل الهمزات في مواضع شتى من كتابه، وهذا أحدُها. وإن أحببت أن تعرف بعض الشواهد على ذلك فانظر (١: ١٢٠ س ٤، ٢: ١٠٨ س٧، ٣١٢ س٢، ٣٣٣ س٥، ٣: ٣٦ س٤، ١٣٠ س٦، ٤: ٣٠٣ س٧، ٣٨٨ س٢).



(١) الحيوان (٢: ١٢١) س٦. (هـ)

(٢) انظر لتوضيح هذه الطريقة شرح ابن يعيش (٩: ١١٢) س١، والإنصاف لابن الأنباري ٣٠٦. (هـ)

(٣) ابن يعيش (٩: ١١٢) س٢٤ وشرح الشافية (٣: ٤٦) وهمع الهوامع (٢: ٢٢١). (هـ)

الرسالة الرابعة[1]

وفي ص٣١٥ س٩: (وهو في ذلك عبقر نضير) فقلتَ: صوابه (عنقر)، وأن المراد بالعنقر (البَرْديّ).

فأول ذلك أنك جعلت (الحلفاء) هو (البردي) بعينه، مع أنهما نوعان مختلفان، وإن تدانيا في الفصيلة، كما يتضح من مراجعة كتب النبات ومعاجم اللغة.

والآخر أن كلمة (عبقر) صحيحة، في معناها وفي وضعها، فإنَّ العبقر: (أول ما ينبت من أصول القصب ونحوه وهو غَضٌّ رخص قبل أن يظهر من الأرض[2]، ومثل ذلك معنى (العنقر) كما في اللسان، والنبات والشجر للأصمعي[3]، ولكن ماذا يدفعنا إلى تبديل النصّ مادام اللفظان متعادلين متساويين في أداء المعنى؟!

---

(١) نشرت في الرسالة في مجلة «الثقافة» العدد ١٢٥ الصادر في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٦٠ الموافق ٢٠ مايو ١٩٤١ (٢٨-٣١).

(٢) اللسان (٦: ٢١٠) وانظر جمهرة الأمثال للعسكري ٦٦ س٤ طبع بمباي ١٣٠٦. (هـ)

(٣) «اللسان» (٦: ٢٨٩) و«النبات والشجر» ٥٢ طبع ١٩٠٨. قلتُ (م): قال الأستاذين كوركيس وميخائيل عواد في تعليقةٍ ضمن «أدب الرسائل بين الألوسي والكرملي» ص٩٢: نُشِر مرَّتين: الأولى بعنوان «كتاب النبات والشجر» بتحقيق: هَفْنَر: مجلة «المشرق» ١ [بيروت ١٨٩٨] ص٤٠٦، ٤١٢، ٤٥٨-٤٦٣، ٥١٠-٥٢٤، ٦٤٣-٦٤٦، ٧٥٠-٧٥٣، ٨٧٤-٨٧٩، ١٠٣٩-١٠٤٣، ١٠٧٢-١٠٧٧). ثم أُفرد في رسالة: (بيروت ١٨٩٨م، ٤٨ص). ثم ظهرت في مجموعة «البلغة في شذور اللغة» ط٢: المط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٤، ص١٧-٦٢.

الثانية: بعنوان «كتاب النبات» بتحقيق عبد الله يوسف غنيم (مطبعة المدني ـ القاهرة ١٩٧٢)، وهي تفوق سابقتها جودةً واتقاناً.

ولعل ما حدا بك إلى إثبات (العنقر) أنك تريد تأويلها بالبَرْديّ، الذي هو أحد معنى (العنقر)، وما معنى أن يقول الجاحظ: إن الحلفاء يثقب الآخر وهو في ذلك بردي نضير؟! إنما يريد الجاحظ التعجيب بأن يتمكن هذا الأصل الغض الرَّخْص ذو النضرة أن يثقب ذاك الجسم الجاسي[1] الصلب.

وفي الصفحة نفسها س١٠ ـ ١١ قال الجاحظ: «وزعم لي ناسٌ من أهل الأردن أنهم وجدوا الحلفاء قد خرق جوف القار»، وفسرتُ (القار) بأنَّهُ الزفت، فقلتَ معترضاً: «ليس في الأردن قار أو قير بمعنى الزفت ليصح الكلام»، وليت شعري أتقصَّيتَ أرض الأردن، وهي عريضة واسعة، فكان منك ألّا تجد القار؟! ولنفترض أنَّ القار ليس يوجد بالأردن، أفعجز أهله أن يجتلبوا القار إلى بلادهم ليستعملوه فيما يصلح من شأنهم، ويقيِّروا به ما يشاءون من الحياض والـمتوضآت؟! وقديماً كان يفعل ذلك العربُ وغيرهم، في كل جهة وفي كل صُقع ليمنعوا تسرُّب الماء إلى باطن الأرَضِين[2]. وهل يرتضي حضرة الأب أن أقول له: ليس في بغداد ذَهَبٌ، لأنَّه ليس يخرج من أرضها؟! واستشهاد الجاحظ بقول أهل الأردن ليس يلزم منه وجود تلك المادة في غلَّات بلادهم أو عدم وجودها، وإنَّما يريد الجاحظ ذكر المخبر له بهذا الخبر، ليطمئنَّ القارئ إلى صِدق روايته.

ـ وفي ص٣٢٠: «فإذا عاد كالحمر.... كما يبتلع الجمر»، قلت: صحة العبارة «فإذا عاد كالجمر.... كما يبتلع الحجَر»، وتصحيح الكلمة الأولى بديهي، لأنَّ كلمة (الجمر) تكررت في الصفحة كثيراً، فهو خطأ مطبعي ظاهر، وأما تصحيحك (الجمر) بكلمة (الحجر) فلا يسعفك فيه أن تقرأ باقي النص، وفيه: «وكنت قلت له: إن الجمْر سخيف سريع الانطفاء إذا لقي الرُّطوبات....» إلخ.

---

(١) هكذا ورد في أصل المقال. (هـ)

(٢) انظر لذلك الحيوان (٤: ٣١٦ س١١-١٣). (هـ)

ـ وفي ص٤٧٢: قول الجاحظ: «والملح شيئان، أحدهما المرقة»، فقلت: صوابه (الدقّة) المرادفة لكلمة (الملح)، ولو أنني صوّبته بما قلتَ لكنت متحكماً في توجيه النصّ، وأنا قد أثبت في شرح الحيوان قولين للعلماء في تفسير كلمة (الملح) الواردة في قول شُتيم:

لا يبعـــد اللهُ ربُّ العبـــادِ والملحُ ما ولدَتْ خالدَهْ

أما الأول فهو (الحرمة) بمعنى: الذِّمام، وأما الآخر فهو (البركة)، فيصح أن تكون كلمة (المرقة) محرفة عن إحدى الكلمتين، ولا سيما الكلمة الأولى، فهي أقربُ إليها في الصورة.

وتجد حضرتك أني بدأت الكلام على البيت بأن كتبتُ لفظ (كذا)، وهذه إشارة منّي إلى ارتيابي في صحتها.

وأما توجيهك لها بأنها (الدَّقة) فقد رأيتَه قريباً وأراه بعيداً، وفيه شيءٌ من العجب، فإنَّ أحداً من العلماء لم يفسِّر به البيت، وإنَّ الجاحظ لا يكون منه أن يلجأ في تفسير الكلمة الواضحة ـ بالمعنى الذي أردتَ ـ إلى كلمة منكرة مثل هذه، ولو أراد هذا المعنى لعبَّر عنه بقوله: (أحدهما ذاك المعروف) أو نحو ذلك.

وأخيراً، إن إطلاق (الدَّقة) على (الملح) قولٌ ضعيف، وفي اللسان: «الدَّقة: التوابل، وما خلط به من الأبزار نحو القِزْح وشبهه، والدَّقة: الملح وما خلط به من الأبزار، وقيل: الدَّقة: الملح المدقوق».

ـ وفي ص٤١١ س٦: (على كَـنَس) وهو خطأ مطبعي، لا يرتاب قارئ في ذلك، وتجد حضرتك في الشرح قولي «والكنس بضمتين»، وهذا تعيين صريح.

ـ وفي ص٢٩٦: (كيبشتاسب) الذي ظهر (زرادشت) في عصره، فقلت أولاً: «صوابه كيستاسب، أو كيستاسف، كما في تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦١». وقلت ثانياً: «وأما كيستاسب فهو ابن لهراسب، وكان قبل ظهور زرادشت الهربذ الشهير».

أمّا ما قلت ثانياً من أن (كيستاسب) كان قبل ظهور زرادشت، فزعمٌ لا يصلح، واستشهادك بما جاء في الآثار الباقية للبيروني ص١٠٥، استشهاد غير موافق، فإنَّ نص البيروني حين راح يعدّد ملوك الفرس الكيانية هو: «وبعد ذلك كيشتاسب بن لهراسب إلى أن ظهر زرادشت، وبعد ذلك كي أردشير بهمن بن اسفنيار بن بشتاسف»، فكيف يفهم هذا النصّ أن (كيشتاسب) كان قبل ظهور زرادشت؟! وهو نصٌّ صريح كل الصراحة في أن ظهور زرادشت كان في زمن كيشتاسب، وأن مُلْك هذا امتد به حتى شاهد زرادشت.

وإن أحببت دليلاً آخر على أن (كيشتاسب) بن لهراسب هو الذي ظهر زرادشت في زمنه، فارجع إلى فهرس ابن النديم[1]، حيث يطالعك هذا النص الصريح الآخر، نقلا عن كتاب الوزراء للجهشياري[2]: «كانت الكتب والرسائل قبل ملك كشتاسب ابن لهراسب قليلة.....، فلما ملك كشتاسب واتسعت الكتابة، وظهر زرادشت بن اسبتمان صاحب شريعة المجوس، وأظهر كتابه العجيب بجميع اللغات أخذ الناس نفوسهم بتعلم الخط والكتابة فزادوا ومهروا....».

فأنت ترى أن (كشتاسب) تناوله المؤرخون الذين كتبوا بالعربية، على وجوه شتى، فهو (أشتاسب)[3] عند الطبري، و(كشتاسب) عند ابن النديم، و(كيشتاسب) عند البيروني[4]، و(كيستاسب) عند ابن خلدون[5]، و(كيستاسف) عند ابن خلدون

---

(١) ابن النديم ص١٢ ليبسك. (هـ)

(٢) لا تجد هذا النص في القطعة المطبوعة من كتاب الوزراء. (هـ)

(٣) تاريخ الطبري ٦١٧ القسم الأول طبع ليدن. (هـ)

(٤) الآثار الباقية ١٠٥ س٢ طبع سخاو ١٨٧٨. (هـ)

(٥) ابن خلدون (٢: ١٦١) س٨ طبع بولاق. (هـ)

أيضاً[١] و(بشتاسف) عند البيروني أيضاً[٢]، و(بشتاسب)[٣]، وذلك راجع إلى اختلاف سبل التعريب.

ومهما يكن من الأمر فهو ابن (لهراسب)[٤] أو (كيلهراسب)[٥] أو (كيهراسف)[٦] أو (كهراسف)[٧] أو (كي لهراسف)[٨] أو (لهراسف)[٩]، فانظر كيف تعددت الصور والمسمى واحد!

ومما يحسن الإشارة إليه، ويعرفه حضرة الأب الجليل جد المعرفة، أن لفظ (كي) تصدَّر به أسماء كثيرٍ من ملوك الفرس، ومعناه (الملك الكبير)، فهو ليس من صلب الاسم، ولذا أهمله بعض المؤرخين، كما قد أهمل بعض المؤرخين إثبات يائه، مكتفين بكسرة الكاف.

وأمَّا حديثُك عن (تنّين أنطاكية) وعن (الأصَلة) و(الدساس) وعن (الفُرانِق)، وتذكيرُك إياي بما كتبتَ في مجلة المشرق، فهو إشارة قيمة مفيدة حقّاً، وإني لأتمنّى كما يتمنّى معي كلُّ معجب بتحقيق حضرة الأب، وبأبحاثه التي لا يضارع فيها ولا يباري إنا لنتمنَّى أن نُلفِي هذه الأبحاث مجموعةً مطبوعةً في كتاب، لتكون ذخيرة سهلة التناول، عامة الفائدة، فإنَّ في كل ما كتب حضرة الأب ما يعجز فطاحل العلماء المحققين، ولو أنَّ الدهر كان قد تقدَّمَ به، لكفانا مؤنة هذا التضارب والتخالف في

---

(١) ابن خلدون س١٢، ١٤، ١٨. (هـ)

(٢) الآثار الباقية ١٠٥ س٤. (هـ)

(٣) الطبري ٤١٦، ٦٤٥-٦٤٩، ٦٧٥-٦٨٧ ومواضع أخرى من القسم الأول. (هـ)

(٤) الآثار الباقية ١٠٤ س٢٣. (هـ)

(٥) ابن خلدون (٢: ١٦١) س٦. (هـ)

(٦) ابن خلدون (٢: ١٦٢) س٩. (هـ)

(٧) الطبري ٦١٧ من القسم الأول. (هـ)

(٨) الطبري ٦١٨، ٦٧٩ من القسم الأول. (هـ)

(٩) الآثار الباقية ١٠٥ س٢. (هـ)

تأصيل الكلم العربي، وردَ الكلم الأجنبي منه إلى لغاته، فهو به جدُّ عالم، وجدّ خبير.

٨ ـ حسنات الكتاب:

وجدتُك تخلع عليّ حلّة من الثناء فضفاضة، وتعبِّر عن رضاك بما حقّقتُ من كتاب الحيوان، وبما صارعت من تحريفاته وتصحيفاته، تعبيراً خشيتُ أن أقوله غالياً، كما خشيتُ أن يحملني على الزَّهْو، ولست من الزهو والتخيُّل، ولا هما مِنيّ! وإني لأعد ما قلتَ في هذا تشجيعاً كريماً، وظناً حسناً، وليس يسعني إلَّا أن أشكرك أعظم الشكر على ما أفضتَ من برٍ طيب، وصنيعٍ بارع، وما أشدت به وأعلنته، وتهديتَ إليه ألطف التّهدِّي، من مكنون جهدي المتواضع، في هذه المهامِهِ الفكريّة، المترامية الأطراف، الشائكة المناهج!

وإن كنتَ قد أُعجبتَ بما رُزِقتُ من صبرٍ على تحقيق هذا الكتاب، ومغالبة تصحيفاته وتحريفاته، فإنِّي أُزجي إليك إعجابي وإعجاب أسرة العروبة جمعاء، بما منحك الله من إنصافٍ بارع، أدهش كلَّ من نظر في رسالتك التاريخية إليّ، على صفحات (الثقافة)[١].

ـ سألتني عن الغرابة في جمع (خشف) بتثليث الخاء على (خِشفان)، فأقول: إن الغرابة في عدم وروده في المعاجم، فإن المعاجم المعروفة جمعته على (خِشَفة) بكسر ففتح و(خشوف) كما نقلتم عن المصباح.

٩ ـ خاتمة الرسالة:

لقد استرعى نظري في هذا الفصل قولك: «وعسى أن تراجعني فيما لا توافق عليه من تصحيحاتي لك»، فهذه هي الغاية التي يصل إليها تواضعُ العالم القدير! وإني ما نهضت بكتابة هذا الجواب إلا طوعاً لكريم طلبك، وتلبية لنبيل رغبتك.

---

(١) الأعداد ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، وجوابي على رسالة حضرة الأب في الأعداد ١٠٤، ١١٠، ١١٦، وهذا العدد. (هـ)

وقد أتَحْتَ للعالم العربي فرصةً في أن يشهد محاورة طيّبة بين أستاذ وتلميذه، وإنا لنرجو أن نعيد أمثالها فيما نستقبل من أجزاء الكتاب.

وقلت: إنك «قد أنفذت إليّ بملاحظات شتى على الجزء الثالث من كتاب الحيوان»، فلو أنها وقعت إلي لاحتفظت بها احتفاظ الشحيح، ولحرصت عليها أشد الحرص، ولأخبرتك بوصولها في حينه شاكراً، وإنه ليؤسفني أن أحرَم من وصول هذه الملاحظات إليَّ، بما صنع البريد، فيما أرى.

ومهما يكن فإن موضع نشر الملاحظات التي تتعلق بما تمَّ نشرهُ من أجزاء الكتاب، إنما هو نهاية الجزء السابع، كما أشرت إلى ذلك في تذييل الحيوان[1].

وإني لأرحب ترحيباً صادقاً بملاحظاتك، وبما يرسل إليَّ كرامُ الأدباء وكبارهم، أو يحتفظون به إلى ذلك الحين وآخر رسالةٍ وصلت إليّ هي رسالة الأخ الجليل الأستاذ عبد الرزاق الحصان[2]، من كرام أدباء بغداد، الذي أعلن له إعجابي بملاحظته الدقيقة.

وأما بعد فإني أتقدم بجزيل شكري إلى حضرة الأب المحترم، ثم أثنّي له الشكر، راجياً أن يتقبل من تلميذه المعجب بفضله وعلمه أصدق آيات الإجلال والاحترام.

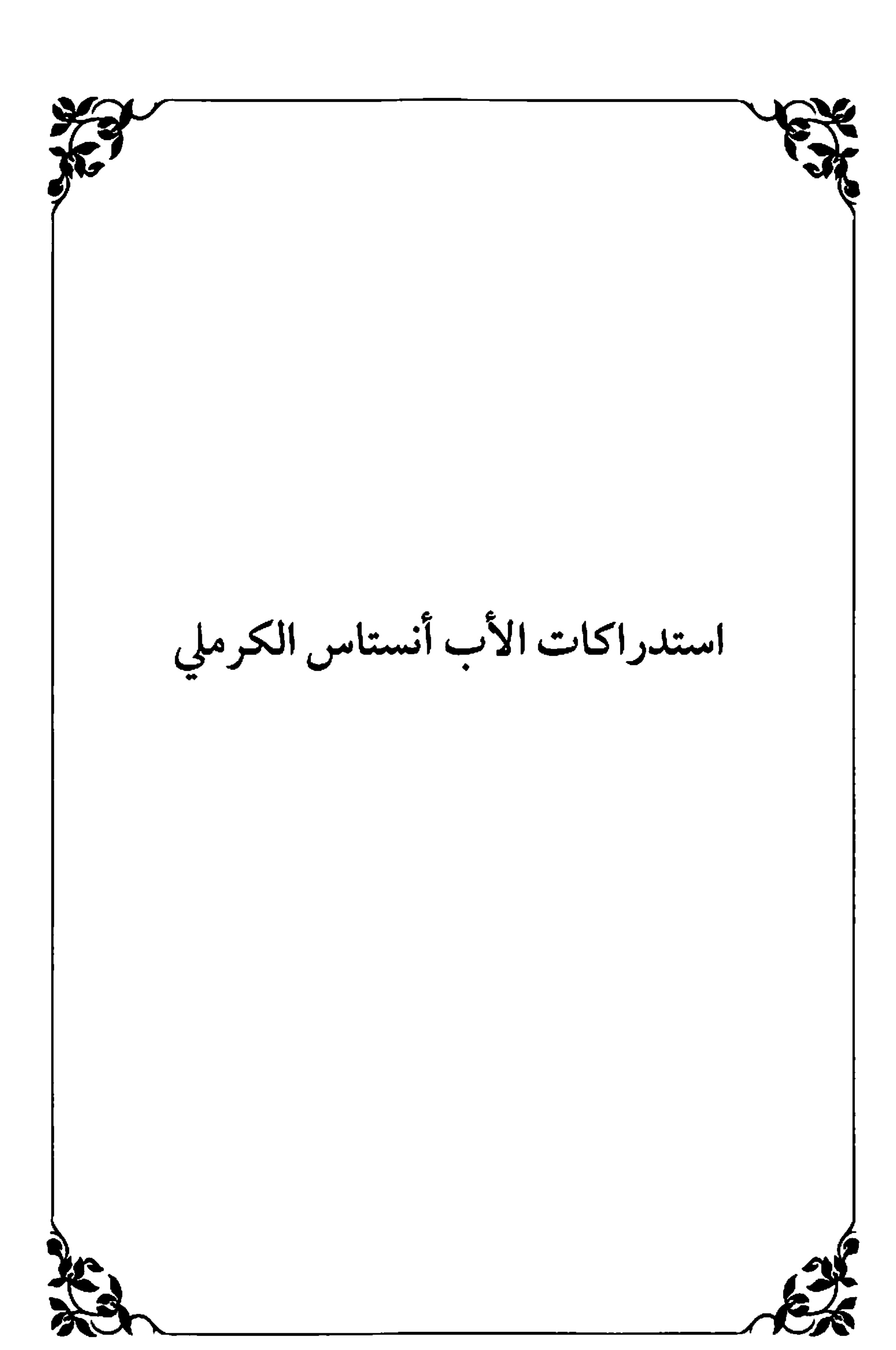
عبد السلام محمد هارون

(منشية البكري)

---

(١) «الحيوان» (٢: ٤٠٣).

(٢) عبد الرزاق رشيد حميد الحصان [١٨٩٥-١٩٦٤] باحث، ومؤرخ، ولد في كرخ بغداد، عين في وزارة الأوقاف أميناً لمكتبتها ١٩٤٨-١٩٦١، هاجر إلى السعودية وأهدى مكتبته إلى مكتبة الحرم النبوي في المدينة، كان مجادلاً عنيداً في تآليفه التاريخية، ويثير الزوابع الكلامية عند صدور أي كتاب من كتبه، ومنهجه في البحث التاريخي يقوم على المزج بين القومية والإسلام، ويعد في رواية بعض المؤرخين من رواد القومية العربية له عدة كتب، في أيامه الأخيرة ساءت أحواله الصحية فسافر إلى الكويت وتوفي بها. «موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين» (٢: ١٤٣).



استدراكات الأب أنستاس الكرملي

الرسالة الأولى من الاستدراك للكرملي[1]

تمهيد:

أبو عثمـان عمرو بن بحر المشهور بالجاحظ، هو أكتب كتّـاب العرب على الإطلاق، منذ أن وُجدوا على الأرض إلى عهدنا هذا، ولعل القارئ يعجب من هذا الكلام، ويعزوه إلى جهلنا لتاريخ الآداب العربية، أو لا أقلّ من أن ينسبنا إلى الغلو الفاحش، لكن الحقيقة أننا لا ننطق عن غرض، ولا عن هوى، إنما ننطق بالحقيقة مجردة عن كل غاية، أو فكرة ملتوية.

نعم، لقد قام في بني مُضر كتّاب نوابغ بلغاء فصحاء أبدعوا فيها نمقوا ووشوا من رفيع القول، ومسجّعه، ومن مختار الألفاظ وأدقّها تعبيراً عن المراد، ومنهم من أغربوا فيها إغراباً فاقوا من تقدمهم في النطق، واتخذوا من الكلم أعوصها وأغمضها، لكن ذلك كله ليس بشيءٍ يذكر بجانب ما أبدعه الجاحظ وصنفهُ ورصفهُ من متقن العبارة ومحكمها، فإنَّه يستحق وحده أن ينعت بـ«وصّاف الدقائق»[2] من بين كل من قبض على اليراعة العربية.

---

(١) نُشرت في مجلة «المقتطف» العدد ١٠٤-١٠٥ سنة ١٩٤٤ (٤٩٠-٤٩٦)، وأشار إلى ذلك كوركيس عواد في كتابه «الأب أنستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته» ص٢٢٤.

(٢) المراد بوصاف الدقائق من يكتب على الأشياء ويصورها تصويراً دقيقاً، يمثلها بين يديك تمثيلاً كأنك تراها رأي العين، وتلمسها لمس اليد، حتى كأنه ينطقها نطقاً حياً، تغنيك عن مقابلتها ومشاهدتها بوسيلة أخرى، لأنك ترى محاسنها ومعايبها جميعاً على حد سواء. =

نظرة عامة في تصانيف الجاحظ:

للجاحظ تصانيف ورسائل عدة مختلفة المواضيع، بلغت ١٢٥ على قول ياقوت الحمويّ، في معجمه المعروف بمعجم الأدباء، لكن لم ينشر منها إلى الآن ـ على ما نعهد ـ إلا ٢١، بينها كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، وأحسن مؤلفاته: البيان والتبيين، وأثمن منه وأبدع كتاب: الحيوان، إلَّا أن إخراج هذه الدرة من مغاصها بسبع لآلئ (سبع مجلدات) على نفقة الحاج محمد السّاسي، حط من ثمنها ومن شرف ثينها [١]، إذ أزال كثيراً من محسنات الكتاب، وروائعه، ومبتكرات أقواله، فيعثر القارئ في كل صفحة من صفحاته على أوهام، وتصحيفات، وتحريفات، ونواقص، ومحذوفات، تخل بسياق المعنى، كما أن ثمَّ دواخل ومفأماتٍ[٢] مما يشجي ويبكي وينكي، ويحول دون القارئ من المضي في وجهه قدماً.

إعادة طبع كتاب الحيوان:

فلما رأى أولاد مصطفى البابي الحلبي الدركة التي انحط إليها هذا الأثر النفيس الذي يُعدّ من أفخر مفاخر الناطقين بالضاد، انتدبوا لإبرازه إلى عالَم البعث والنشور والخلود، شابّاً مصريّاً جمع إلى توغله في الآداب والعلوم العربية وقوفه أحسن وقوف

= ويسمي الأفرنج «وصاف الدقائق»: Realiste، وقد حاول بعضهم نقلها إلى لساننا بقولهم: «كاتباً واقعياً»، وآخرون بقولهم: «مصور الأشخاص والأشياء كما هي بدون تجميلها»، وبعضهم قالوا: هو «الكاتب الواقعي»، وفريق «القائل بحقيقة الأشياء»، وجماعة: «القائل بالمذهب الحسي والواقعي». وآخرون غير ما مر بك من الألفاظ والتعابير، وكلها لا تفي بالمطلوب: من الحرف الأفرنجي، هذا ويقابلها عندنا: «وصاف الخياليات»، وعندهم: Idealiste. (ك)

(١) الثين بكسر الثاء المثلثة: مستخرج الدرة من البحر. (ك)

(٢) مفأمات: جمع مفأم، اسم مفعول من: أفأمه، أي: وسعه وزاد فيه. (ك)

على تصانيف الجاحظ، وآرائه وأفكاره، ومعارفه، فأبرز إلى نور النشور أربع مجلدات منه، وبين يدينا الجزء الخامس الذي يعدُّ أوسع المجلدات، وأصعبها فهماً لما حوى صدره من الآراء الفلسفية الغامضة، وما وقع فيه من التصحيف والتحريف.

وفي هذا الـمجلد يبحث الجاحظ عن الطير التي تألف الدور، وعن الفئران والجرذان، والسنانير والعقارب، وعن بعض الهوام كالبراغيث، والقمل، والصئبان، والبق، والجرجس والشران، والفراش، والأذى، والعناكب، والنحل، والقراد، ثم تبدوا له بادرة فجأة، كأنَّهُ فاته شيء، فيرجع القهقرى ويتكلم على الحبارى من الطير، وعلى الضأن والمعز من الحيوان، وعلى الضفادع من دويبات الماء، ثم يعود ثانية فيكلمنا على الفرق بين الإنسان والبهيمة، وعلى الإنسان والسبع، ثم يؤوب أوبة ثالثة كأنه يصحو من غيبةٍ أو ذهول، فيعقد فصلاً في القطا، ويختم هذا الجزء بنوادر وأشعار وأحاديث.

محتويات كتاب الحيوان:

وقد وسم المؤلف كتابه بالحيوان، أمَّا الحقيقة فهي أنه مَعْلَمَة، «قائمة برأسها» ومشتملة على جميع العلوم والفنون المعروفة عهدئذٍ، فإذا القارئ يصيب فيها أنواع المباحث والموضوعات، كالتفسير والحديث، وعلم الكلام، والفلسفة، والمنطق، وأنواع المذاهب، والأديان، واللغة، والأدب، والتاريخ، والبلدان، والتراجم، والشعر، والحكم، والأشعار، والأمثال، وعلم الحيوان، والنبات، والمعادن، وكل ما وصل إليه العرب من علم الفلك والظواهر الجوية، والقصص والروايات، والأخلاق، فضلاً عما وضعه هو من نفسهِ من الأقوال ومن فكره الخاص به من الآراء، وهذا ليس بقليل.

فالمطالع يرى عظم نفع هذا التصنيف، فهو يغني عن خزانة كتب مختلفة المباحث

والمواضيع، ووجوب تسليمه إلى أديب يتمكن من إخراجه بجميع ألوانه المتموجة الـمتألقة، وإلباسه أثمن حلة وأبدع وشي، وهذا ما فعله الأستاذ عبد السلام محمد هارون.

حسنات هذه الطبعة:

أن المعتني بطبعه لم يضنّ بالحواشي على اختلاف أبوابها ومعانيها، ومواضيعها، وقد وجّه الأنظار مراراً لا تحصى إلى الأصول التي ورد مناهلها ليعيد صحة الرواية إلى نصابها الذي كانت وضعت فيه في بادئ الأمر، من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأخبار تاريخية، وتصحيحات علمية، وخرافات دخيلة، وموضوعة، ومأثورة عن السلف، ففاز المحرّر بالسهم الأوفى وبالنصيب الأعلى مما توخى.

فلقد رأيناه صحح آيات قرآنية لم يوردها المؤلف على وجهها، كما هي في السور، وهذا عجيب من مسلم علّامة مثل الجاحظ صاحب الفرقة الجاحظية[1]، فلقد صحح عبد السلام ما ورد منها في هذا الجزء في الصفحات: **٣٢ و٩٣ و١٣٧ و٥٤٤ و٥٤٧**.

ومن مزايا هذه النسخة: أنَّ المحرر ضبط جميع الحروف التي تحتاج إلى تشكيل وتدوين وضبط، وربما زاد على الضبط بالعلامات، الضبط بالكلام، كل مرة مست الحاجة إلى هذا الأمر.

---

(١) قال في «شرح المواقف»: «الجاحظية: فرقة من المعتزلة، وهم أصحاب الجاحظ، قالوا: المعارف كلها ضرورية، ولا إرادة في الشاهد، أي في الواحد منا، إنما هي إرادته لفعله: عدم السهو، أي كونه عالماً به، غير ساه عنه. وإرادته لفعل الغير، هي: ميل النفس إليه. وقالوا: إن للأجسام طبائع مختلفة لها آثار مخصوصة، ويمتنع انعدام الجواهر، وإنما تتبدل الأعراض، والجواهر باقية على حالها، كما قيل في الهيولي، والنار تجذب إلى نفسها أهلها، لا أن الله يدخلهم فيها. والخير والشر من فعل العبد، والقرآن جسد ينقلب تارة رجلاً، وتارة امرأة». اهـ. (ك)

ومن مزاياها: أنه طبع الحواشي متميزة عن النص بحرف دقيق بديع الرسم، وعرّض تلك الحواشي، حتى شغلت موطناً غير يسير من الكتاب، ثم أخرج كل رقم من أرقام ترتيبها بحيث تبدو للناظر، من غير أن يبحث عن موطنها وموقعها من الصفحة.

ومن خصائصها: أن المحقق استعمل التنقيط في جميع الأوجه، من أنف الديوان إلى أخمصه، ولم يخالف قواعده في عبارة واحدة، حتى في الحواشي، وحتى في أمر زهيد. ذلك ما لم نره في أي تأليف طبع في الغرب، فضلاً عن الشرق في لغة الضاد.

وأعاد طائفة من الكلم إلى مواطنها، تلك الحروف التي يخل حذفها بالمعنى إخلالاً لا يخلو من معرة وسوء عقبى، وقد أسقطها النساخ، والورّاقون، وسيئو النيات، وأرباب الغايات والأهواء. فبذل كل ما في وفاضه من السهام، لكي يصمي صيده، ولا يخفق، فكان ما أراد.

وبذل كل ما في كنانته في تقطيع الموضوعات، وإقامة الدِّبار[1]، ليريح القارئ من تسلسل السطور وتتابع الكلم، حتى يبقى المطالع مستريح البصر، ومستجم القوى الفكرية، بأن جعل لتلك الدبار عناوين مختلفة من وضعه، عدا ما كان وضعه المؤلف من نفسه، لوجوب هذا الأمر لمن يريد أن يجعل كتابه غذاء للفكر، وراحة للبصر.

---

(١) الدبار بالكسر جمع دَبْرة، بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة التحتية، يليها راء فهاء في الآخر، وهي: البقعة تزرع كالمشارة، ويريد بها الكتاب وأرباب المطابع: جملة من الكلام تبتدئ برأس سطر بارز عن سائر السطور، وتنتهي بعد طائفة من السطور، إراحة للبصر وهي التي يسميها الفرنسيون: Alinea والانكليز Break وتجمع المشارة على: مشاور ومشائر كمنارة ومناور ومنائر. (ك)

وكان بعض كتبة العصر يحذفون من عبارات الجاحظ كلمة «أيضاً»[1]. زاعمين أنه لم يستعملها، أمّا الأستاذ هارون، فإنّه أبقاها في موطنها كل مرة وردت، ولم يحفل باعتراضات المعترضين، لأنّها من أفصح الكلام وأقومه وأقدمه، لورودها في جميع النسخ التي اعتمدها، على اختلاف ناسخيها وورِاقيها، وقد عددت منها ثلاثين مرة ثم وقفت.

هذا بعض ما أردنا أن نشير إليه من باب السرعة ضناً بوقت القارئ وطلباً للإيجاز.

ما كنا نتمنى أن يكون في هذا الكتاب:

كنا نتمنى ما يأتي:

ـ أن ترقم كل خمسة أسطر برقم، حتى يسهل على القارئ الرجوع إلى عددها من غير أن يعدها كل مرة وفي كل صفحة على حد ما يفعل اليوم جميع من يتولى نشر الكتب العلمية ولا سيما القديمة منها، حين يضطر القارئ إلى مراجعة بعض الألفاظ، فلا يزحم نفسه لعدّ السطور لوجودها.

ـ نقل المحرر بعض عبارات إفرنجية تفسيراً لبعض الكلم العربية، نقلاً عن الأجانب، وكان يحسن به أن يترجمها إلى العربية، ليستفيد منها من لا يفهم الإفرنجية كما جاء في الحاشية ١ من ص٣٥١ وح ٧ ص٤٦٨.

ـ كان يحسن به أن يضع بجانب كل حرف يدل على حيوان أو نبات أو معدن ما يقابله عند الإفرنج، ليسهل على الباحث إتمام البحث عنه بحثاً علمياً عند أولئك

---

(١) فقد قال الجاحظ مثلاً في ص٢٣: «وقد يقولون ذلك أيضاً على المثل»، وفي ص٢٣: «وهذه أيضاً فضيلة أخرى»، وفي تلك الصفحة نفسها: «جوزوا أيضاً أن يقولوا»، وفي ص٤٥: «ولو كان أيضاً التهافت...»، وفي ص٤٨: «وقد غلط أيضاً كثير منهم»، وفي ص٦٥: «ويدل أيضاً على ما قلنا» إلى صفحات لا تحصى. وقد جري المحرر ـ وهو تلميذ الجاحظ النبيه ـ جري أستاذه، فلم يعمل بما قاله بعضهم في هذا العدد، بل تأثر معلمة عن كثب. (ك)

الأعاجم، لأنّهم قتلوا تلك المواد خبراً، فنحن نحتاج إلى عرفانهم لأننا عالة عليهم.

ـ كثيراً ما استعمل المحرر ألفاظاً كنا نتمنى أن يعدل عنها إلى ما اشتهر اتخاذها عند الأدباء، فإنه استعمل (التنبيه) في مكان (الحاشية)، كما في ص٦ح٤، و٥٤٦ح١، و٥٥٢ ح٣، وهي أكثر من أن تحصى، وقد اجتزأنا بهذه الإشارة الطفيفة.

ـ ورد في ص٦٨ س١٢: «والثلج قد يداوى به بعض المرضى، ويتولد فيه الدود...»، قال المحرر في الحاشية: «سبقت إشارة الجاحظ إلى ديدان الثلج في (٣: ٣٩٦ س٦)، ولم يذكر المؤلف اسمه عند العرب، ولا المحرر في موطن من مواطن الديوان، والذي نعلمه أن اسمه (الزُّلال) وزان غراب. راجع تاج العروس في مستدرك (ز ل ل).

ـ ذكر المحرر في ٤٧ ح٦: «العفص، بفتح العين بعدها فاء ساكنة: ثمر شجر جبلي يقارب البلوط»، والذي نعرفه أن العفص زيادة مَرَضية تجيء على بعض الأنبتة هي نتيجة وخز تخزه حشرة أو هامة، وتضع في الوخز بيضها، فينتج من هذا العمل ضرب من العقد أو الغدد هو هذا العفص، فهو ليس بثمر كما يظن، أو كما كان يتصوره الأقدمون واسمه العلمي المشهور: Quercus Lusitanica ودونهُ Quercus Lnfectoria وبالفرنسية: Chêne à galles أو Ch. Des Teinturiers وبالإنكليزية الشائعة: Dyer's oak ودونها Gall Oak أو Nut Gall Oak . ويُنقل مقادير لا تحصى من عفص العراق إلى ديار الغرب لدخوله في الأصباغ وبعض الأدوية وفي عمل الحبر الأسود الذي لا يمحى والشديد السواد.

ـ نقل المحرِّر إلى الحرف اليوناني بعض الكلم العربية الهلنية الأصل فجاءت مخطوءاً فيها، كما في أصل الهيولى في ص٥٠ ح٤ وص٢٣٧ ح١ إلى غيرها، وهي ليست بكثيرة.

ـ جاء في ح٤ ص٥٢: «الأرز بالفتح وبضم: شجر الصنوبر»، والمحققون يقولون: إنَّ الأرز بفتح الهمزة وأنَّـهُ ليس بالعرعر ولا بالصنوبر، بل إنَّـهُ شجر قائم بنفسه اسمه العلمي: Cedrus Libani، وبالإنكليزية: Cedar of Lebanon، وبالفرنسية: Cèdre, Cèdre du Liban, Pin du Liban.

ـ وفي نص ص٦١: «وضروب الضباب والأنداء، فتراها إما صفراء، وإما حمراء»، والصواب: إما صفراً وإما حمراً، أي: إن كلاً من صفراً وحمراً بالجمع المنصوب غير الممدود، والمد من جهل النساخ.

ـ ورد في ح ص٨٤: (الطلق) «بالأوربية العلمية» Talc أو Talcum: متعادل مركب من (سليكات المغنسيوم). اهـ. ولو قال المحشي: وبالأوربية: Talc أو Talcus لكان أضمن للصحة. ويحسن أن تكتب سليكاة ـ بالهاء لا بالتاء ـ المغنيسيا. راجع المقتطف ١٠٤: ١٩٩.

ـ وفي ح٩ ص٨٤: «والبركان عامية مأخوذة من: Volcano»، والذي عندنا أنها معربة وقد وردت في شعر ابن حمديس.

ـ وفي ح٥ ص٨٨: «والعقيق هنا: البرق، ولم تذكر المعاجم في هذه المادة بهذا المعنى إلا العقيقة والعقيق بضم ففتح»، قلنا: لم تذكر المعاجم العقيق لأنَّها جمع قياسي لعقيقة، كما قالوا: سحاب وسحابةٌ وأرز وأرزة وبقر وبقرة، فهي قياسية، وقد نبه أرباب المعاجم أنهم غير مقيدين بذكر المقيسات من الحروف.

ـ وفي ح٢ من ص٩٥: «فـذا توفي حوالي سنة ٣٣٧»، وقد استعمل المحرّر «حوالي» بمعنى: نحو. وقد أكثر أرباب الصحف في هذا العهد من استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى، وقد قلنا مراراً: إن الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها، وربما قالوا في مكانها: في حدود سنة كذا.

ـ في ح٢ من ص١٤٥: «والبشام: نبت طيب الريح والطعم»، فهذا تعريف عام لا يفيد فائدة علمية واضحة، ولو نقل عبارة لسان العرب لكان أجلى، فقد قال بعد أن ذكر هذه العبارة: «شجر طيب الريح والطعم يستاك بهِ، قال أبو حنيفة: البشام، يُدق ورقُه ويخلط بالحناءِ للتسويد...، وبالشام: شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر ولا ثمر له، وإذا قطعت ورقته أو قصف غصنه هُريق لبناً أبيض، واحدهُ بشامة».

ـ وفي ح٩ من ص١٥٢ تصحيح لما ورد في النص: «إذ مرّ العقعق والسخاب في منقاره»: فيما عدا ل: «في فمهِ، وأنّى يكون لهُ فم؟!» قلنا: ورواية الفم أصح من رواية المنقار، فقد ذكر اللغويون: فم السمكة: وفم الطريق، وفم الوادي، وفم النهر من باب المجاز والتوسع. فلماذا لا يقال: فم الطائر؟ وقد قالوا: فم الحيوان (المصباح)، ولماذا لا يدخل الطائر في جماعة الحيوان؟ وقد كرر المحرر هذا الإنكار في ح١ ص٣٣٨.

ـ وفي ح٥ ص١٥٨ في تعليقهِ على هذا البيت: «معي كل فضفاض القميص كأنهُ»: ط فقط: فضفاض الثياب، ولم أجدها في مرجع. قلنا: وهذه النسخة نفسها كافية لأن تكون مرجعاً يعتمد عليه، إذا اتفق المعنى والمبنى معاً[1].

ـ ذكر المحرر في ح٥ من ص٢٠٩: التدرج والدُّرَّاج، فالتدرج على الأصح هو Pheasant بالإنكليزية، وبالفرنسية Faisan، وأما الدراج وزان رمان فهو Francolin

---

(١) على أن الفضفاض وردت في جميع المعاجم. قال في «اللسان»: «وقميص فضفاض: واسع»، وفي حديث سطيح: أبيض فضفاض الرداء والبدن. أراد: واسع الصدر والذراع، فكنى عنه بالرداء البدين. وقيل: أراد كثرة العطاء، ومنه حديث ابن سيرين، قال: كنت مع أنس في يوم مطر والأرض فضفاض، أي: قد علاها الماء من كثرة المطر. وقد فضفض الثوب والدرع: ربعهما، قال كثير:

فنبــذت ثــم تحيــة فأعادهــا   غمر الرداء مفضفض الســربال

والفضفاض: الكثير الواسع... إلى آخر ما جاء هناك، وراجع أساس البلاغة، فقد جاء فيه: «درع فضفاضة: واسعة. وبطن فضفاض... وعيش فضفاض واسع». (ك)

بالفرنسية والإنكليزية معاً. وأما ذكر الدُّرَّاج فهو الحيقُطان بالعربية، وA cock pheasant بالإنكليزية، وLe male du francolin بالفرنسية، وقد أخطأ استينجاس بتسميته بالإنكليزية Black partridge.

* * *

الرسالة الثانية من الاستدراك[1]

ذكر الجاحظ في ص٢٥٣: أن «قد كان ناس من أهل سيف البحر من شق فارس يأكلون الفأر والضفادع»، قلت: وقد مررت في سنة ١٨٩٤ أي قبل خمسين سنة بالضبط بسيف خليج فارس أو بحر فارس، ورأيت عرباً يأكلون ضفادع، فكانوا يقطعون أفخاذها ويشوونها شيّاً على النار ويستطيبونها، ودعوني إلى أكلها فاستقذرتها، ثم ألحوا عليّ إلحاحاً شديداً، فأكلتها تطييباً لخاطرهم، فاستطيبتها، فاشتريت منها كمية منهم، وشكرتهم على هذه الدعوة، فكانت أفخاذ الضفادع أطيب من لحم الدجاج، فليجرب من يشك في قولي. وأعاد الجاحظ مثل هذا الكلام في ص٥٣٠.

ـ قال المحرر في ح٢ من ص٢٧٧: «والتؤام: المزدوجات جمع توأم، وهو من الجمع العزيز» قلنا: وهذا كلام كثير من النحاة واللغويين، وقد جمعنا نحن أكثر من ٣٥ لفظاً على فُعال بضم الأول، فكيف يكون عزيزاً؟

ـ وفي ح٢ من ص٢٧٨ كلام على الزباء، وأحسن مقال ورد في هذا البحث ما جاء في مجلة المشرق، في إحدى سنواتها الأول، ولستُ بين يدي خزانتي لأذكر السنة والصفحة، لكني واثق مما أقول، فليراجع.

ـ في ح٤ من ص٢٧٩: «تبت بلاد بالصين»، والصواب أنها بلاد واقعة في شرقيّها وليست منها.

---

(١) نشرت هذه الرسالة في مجلة «المقتطف» العدد ١٠٥ الصادر في ١٠ جمادى الآخرة، الموافق ١ يونيو ١٩٤٤ (٨٤-٩١).

ـ وجاء في أنف ص٢٩٩ هذا البيت:

وإذا في الغباءِ سم بُريْص

فقال المحشّي: «أراد به سامّ أبرص وهو الوزغة، وهذا اللفظ لم يرد في المعاجم، ولا أحسبه إلَّا لغةً عامية»، قلنا: هذا اللفظ قصر «سامّ أبرص»، وقد تصرف فيه تصرف الشعراء في الكلم من قصر وزيادة وتغيير، وليس من كلام العوام.

ـ في ح٦ من ص٣٠٤ شرح الناشر الزباد فقال: «كسحاب: ضرب من الطيب، وهو عرق حيوان يشبه السنور»، قلنا: الزباد حيوان كالسنور، له عند مخرجه جراب صغير، فيه مادة دهنية ذكية الرائحة، اسمها اسم الحيوان نفسه.

وقال في آخر هذا البحث: «قال صاحب القاموس: وغلط الفقهاء واللغويون في قولهم: الزباد دابة يجلب منها الطيب، وإنما الدابة السنور، والزباد الطيب»، قلنا: الذي قاله الفقهاء واللغويون هو: الزباد دابة يحلب منها (بالحاء المهملة لا بالجيم) الطيب، فحينئذ لا غطاء ولا وهم، وإنما سميت المادة الدهنية زباداً تسمية صحيحة، وسميت الدابة زباداً أيضاً من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه، فكأنهم قالوا للدابة: سنور الزباد، أو دابة الزباد. ومعنى «يحلب منها الطيب»: يعصر منها الطيب، وهي تربى في بيوت الأهالي في تلك الربوع، وكلما احتاجوا إلى الطيب، عصروا ذلك الجريّب واتخذوا الطيب لأنفسهم أو لغيرهم.

ـ وفي ح٦ من ص٣٣٥: «وبيشة (في قولهم: آساد بيشة) موضع تنسب إليه الآساد»، قلنا: والذي في حفظنا أنه من مواضع العراق، وليس الآن بيدي معجم البلدان لياقوت لأتثبت من الأمر.

ـ وقال الجاحظ في ص٣٣٦: «وليس للكلب اسم سوى الكلب، ولا للديك اسم إلا الديك».

قلنا: ونحن نحفظ من أسماء الديك: العُتْرُسان والعُتْرُفان، فكيف فاتا أستاذنا الجاحظ هذا اللغوي الجليل؟

وقال الشارح في ح٥ ص٣٣٩: «الفواخت: جمع فاختة، وهي ضرب من الحمام المطوّق»، قلنا: إن الفاختة حمامة مطوقة خاصة بالعراق ومعروفة فيه إلى هذا العهد بهذا الاسم، واسمها: Turtur Mesoptamenus بلسان العلم، ولها تغريد خاص بها كأنها تقول: كوكُوْوْوْوكو!

وفي العراق ضروب من الحمـام كالشفنين، والطوراني (ويسمونه الطُّـرَآني والطُّوارْنِيّ، بطاء مضمومة وواو مفتوحة وألف وراء ساكنة يليها نون مكسورة فياء مشددة)، والشورِّ والطُرْغُلّ إلى غيرها وهي كثيرة، ولها أسماء عديدة، ولا تحضرني الآن.

وأما الفاختة: فيسميها اليوم عوام العراق غير فصحائهم، فخنية (زنة كردية وتركية)، ويجمعونها على: فخاتي، ككراسيّ.

ـ وذكر الجاحظ النُّشَادر أو النشاذِر بصورة نوشاذُر، بضم الذال المعجمة، ونحن لم نرَ هذا التقييد في كتاب يعتمد عليه، ونظن أن هذا الضبط من عمل الوراقين لا منه.

وقد قال المحرر في ح٦: «وبلغة العلماء الأوربيين Sal-Ammoniac»، ولو قال: وبلغة الإنكليز، لكان في منجاة عن كل اعتراض، لأن الاسم العلمي هو: Ammpniacus.

ـ ضبط المحرر في ص٣٥٦ «بختيشوع» ضبط قلم هكذا «بُخْتِيشُوْع»، والصواب هو بفتح الباء الموحدة التحتية، وإسكان الخاء المعجمة، وكسر التاء المثناة الفوقية، وإسكان الياء المثناة التحتية، وضم الشين المعجمة، يليها واو ساكنة، وفي الآخر عين مهملة. وهو اسم شائع عند نصارى العراقيين إلى عهدنا هذا. نعم، إن بعضهم ضبطوه كما فعل الأستاذ عبد السلام، لكنهم أخطأوا، فليس الذنب ذنبه، بل ذنب من اتخذ هذا الضبط بدون سند.

ـ وذكر المحرر في ح٨ من ص٣٦٠ هذه العبارة: «الأنابير جمع أنبار، والأنبار: جمع نبر بالفتح، والأنبار: أهراء الطعام، والهري بالضم: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان». اهـ.

قلنا: الأنبار تعريب اليونانية: أنباريون، فلما عربوها ظنوا أن (أنبار) المحذوف منها أداة الإعراب اليونانية لفظ جمع عربي وأن مفردها (نبر)، وقد فعلوا مثل هذا الفعل في عشرات من الكلم الدخيلة (كقرن) المدة من الزمن، والجيل من الناس، و(القرميد)، و(الفردوس)، (والغرش)، وكذلك (الهري) بمعنى: الأنبار فإنهُ من الرومية Horreum مبنى ومعنى.

ـ وذكر المحرر في ح٥ ص٣٦٢: أن البال من الفارسية، والذي أثبتناه في كتابنا «أغلاط اللغويين الأقدمين»، أن الكلمة يونانية، وذلك في مقال طويل، وليس الآن تأليفنا بين يدينا، لنحيل عليه النظر[1]، إلا أننا نتذكر أننا قلنا: إن البال والفال من اليونانية Phalaina، وليس Phlaina كما ذكرها المحشي ح٥ ص٣٦٨.

ـ وذكر المحرر القمل زنة زمج ح٥ ص٣٦٨ الوارد في القرآن بأنَّه: الصغار من الجراد، أو صغار الذو، وقيل: «دواب صغار من جنس القراد..»، وقد بيّنا في مقال طويل أدرج في مجلة غرفة تجارة بغداد: أن القمل ضرب من الدويبات تقع في بعض السنين على سنابل الطعام فتمتص ما فيها من الماء وتدعها فارغة من كل مادة، ولا نتذكر الآن سنة المجلة ولا اسم تلك الدويبة العلمي.

ـ وذكر الجاحظ السمك الضخم الذي يكون في الفراتين وسماه: الزجر ص٣٦٩، قلنا: وقد مات هذا اللفظ الأرميّ من لغة العراقيين، لأنَّهم يسمونه اليوم: «البزّ» بكسر الباء الموحدة وشدّ الزاي، وأظن أنها من اللاتينية Piscis ومعناها: السمكة من باب التغليب.

---

(١) ص٢٧١-٢٧٤.

ـ شرح الأستاذ المحرّر البق بقوله في ح٣ من ص٣٧٣:

«البق: البعوض، وقيل: هي دويبة مثل القملة (كذا) حمراء منتنة الريح، تكون في السرُر والجُدر. وبهذا المعنى الأخير تعرف في مصر». اهـ.

قلنا: إن الجاحظ كان بصري المولد، بغدادي النشأة. والعراقيون يسمون البعوض بقّـاً ولا يعرفون للضمج ـ وهو المسمى بالبق في مصر ـ اسماً في هذا العهد، لأنَّ الضمج لا يعيش في العراق، وإذا جيء به بطريقةٍ من الطرائق إلى بلادنا، فإنه يعيش في الشتاء والربيع، ولكن إذا جاء الصيف يموت حتماً لشدة الحرّ في ديارنا. وقد سمعت ـ وأنا صغير من أبناء بغداد ـ أن مدحت باشا والي بغداد، جلب من إستانبول علباً كثيرة مملوءة ضمجاً، فعاش ما كان فيها، إذ ألقى تلك الدويبات في السجون ليعذب بها المسجونين، ولما جاء الصيف يبست وماتت ولم يحيَ منها واحدة. وقد أعاد الجلب أربع سنوات متتالية، فلم ينجح، ولهذا لا يُرى أثر للضمج في بغداد.

زد على ذلك أن «العرب الأقدمين» لم يريدوا بالبق إلّا البعوض الضخم، ولم يستعملوها البتة بمعنى الضمج، أما البق فيمانيّ الأصل، ومن اليمن نُقل الاسم إلى الإنكليزية وغيرها من اللغى، وذلك في العصور الوسطى عند إنشاء السفن في بحر العرب وأرجائِه.

وأما قول الكتاب: إن البق بمعنى الضمج والكتّـان يكون في السرر والجُدُر، فصواب العبارة: في السُرُر والحُصُر جمع حصير، فإنه يعيش فيها بمئاتٍ وألوف، ولهذا تعرف بأم الحصر، ومن أسمائها أيضاً الفسفس والفسفاس.

وجاء في تلك الصفحة في ح٧ تفسيراً لقول الجاحظ: «إلّا أن يقتلها بالعرك والقتل»، فصواب العبارة: بالعرك والفتل، بفاءٍ يليها تاء مثناة، كما وردت في حاشية ص٣٨٠، ودونك نص الشارح: «وفي ل: «قتلها» ووجههُ بالفاءِ كما أثبت».

زد على ذلك أن المفسرين الأقدمين لم يفهموا بالبق إلّا البعوض، ومنه قولهم: إن البـقة التي دخلت أنف نمرود اسمها السُّكَينة بزنة التصغير.

ـ ذكر الجاحظ في ص٣٨٢: «تخت النرد قطعة نرد»، فعلق عليها الأستاذ النابه ما هذا نقلهُ: «التخت في المعاجم العربية: وعاء تصان فيه الثياب، فارسي معرب، لم يذكروا غير ذلك، وبعيد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى، وإنما أراد بالتخت اللوح الذي يوضع فوقه النرد... وأراد أنهم جعلوا قطعة اللبد بدلاً من اللوح».

قلنا: إن التخت في لغة العراقيين جاء بمعان شتى منها: السرير يُقْعد عليه، والمتكأ، والتختة ـ بهاءٍ في الآخر ـ: اللوح من الخشب يتخذ لمرافق شتى. فما في كلام الجاحظ هو من هذا الاستعمال.

ـ ذكر الجاحظ في بيت شعر (ص ٣٨٦):

«من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث»

فالكرخ هنا: موقع واقع على الجانب الأيمن من دجلة وكان دائماً كثير البساتين، وأما التوث ـ مختومة بثاءٍ مثلثة ـ فمن العراقيين من يلفظها إلى اليوم بثاء مثلثة في الآخر، ومنهم من ينطق بها بتاء مثناة، وكلاهما فصيح، وإن أنكره بعضهم.

ـ وجاء ذكر الهوْر في ص٣٩٩ فقال المحرّر: «الهور بالفتح: من قولهم: جرف هور، أي: واسع بعيد، وقولهم: خرق هور، أي: واسع». اهـ. قلنا: الهور من مصطلح العراقيين إلى عهدنا هذا، ويراد به في لغتهم: المستنقع أو البطيحة تفيض بها مياه غياض وآجام فتتسع، وهذا هو المعنيُّ هنا.

ـ وقال الجاحظ في ص٤٠٢: «إلّا أني متى بيَّت معي في القبّة ما صار إليها»، ولم يشرح المُحشِّي معنى القبة، فالقبة في لغة الجاحظ وجميع العراقيين: الغرفة والعلية.

ـ جاء في ص٤٢٢: «أقبل رجلان ومعهما كلب أزب ضخم (دَوْسر)»، فقال المحرّر: دوسر ضخم خديد، قلنا: والذي عندنا أن الدَّوْسر كلمة فارسية معناها: ذو رأسين. وذلك أن الكلب إذا كان ضخم الرأس يبين كأن لهُ رأسين فسمي بدوْسر.

وكان للنعمان بن المنذر ملك العراق كتيبة اسمها دوسر، وهي أشد كتائبه بطشاً حتى ضرب بها المثل. يقال: هو أبطش من دوْسر، كانت مجتمعة من جميع قبائل العرب وأكثرها من قبيلتين، ولذلك سميت بهذا الاسم.

ـ ورسم المحرر شمؤون الطبيب هكذا: شمئون، ويقال فيه شمعون أيضاً بعين في مكان الهمزة وهو من أطباء النبط، لجيلٍ من الأرميين، وكانوا يجعلون العين همزة حيثما وقعت، ومثل ذلك يفعل اليوم صابئة البطائح المعروفون عندنا في هذا العهد بالصُبَّة، بالصاد المضمومة والباء الموحدة التحتية المشددة المفتوحة وفي الآخر هاء.

ـ في ح٩ من ص٤٦٣ قول الشارح: «وأعرف الأقوال في النقد أنه جنس من الغنم، قصار الأوجه قباح الوجوه»، قلنا: لعله يريد قصار الأرجل، وهي التي تكون قصاراً في الغنم.

ـ وورد في ح٨ من ص٤٦٦ هذه العبارة للأستاذ: «التياس: صاحب التيوس وممسكها»، قلنا: يكفي التياس أن يكون له تيس واحد، أو أن يكون ممسكاً تيساً واحداً ليصح فيه هذا الاسم.

ـ ووقع حرف في ح١ من ص٤٧١ في قوله: «ليسوا فرساناً لا معرفة لهم بالخيل»، لعلَّ الساقط هو «إذ» فيكون صواب العبارة: ليسوا فرساناً إذ لا معرفة لهم بالخيل.

ـ وطبع في ص٤٧٣ في النص والشرح: الغرائر بالياء المثناة، والصواب أنها مهموزة كما أثبتناها، لأنَّها غير جوفاء ولا يائية البناء. وكذا يجب أن تكتب المزايد وهي المزاودة الواردة في ص٤٨٥ ح٥.

ـ وقال الأستاذ المحرر في ح٨ من ص٤٧٥: «السقط، بالتحريك: ما لا خير فيه. لعله أراد به حشوة الذبيحة وأطرافها، كما يطلق اليوم هذا اللفظ في العامية المصرية»، قلنا: وبهذا المعنى وردت السقط في العراق، ويسمى بائع الأسقاط: سقَّاطاً وسقطيّاً وأسقاطيّاً.

ـ وذكر الجاحظ بيتين من الشعر لأبي الأسود الدؤلي، ونص الثاني منهما هو:

ولا بسبسٍ كالعنز أطولُ رسلها   ورثمانهـــا يومـــان ثـــم يـــزول

فقال المطرز تعليقاً على «بسبس»: كذا وردت، وعندنا أن الكلمة مصحفة أصلها: «بشيش»، بشينين معجمتين، يتوسطهما ياء مثناة تحتية ساكنة، والشيش: الشيص بشين وياء وصاد، وهو: تمر رديء، يضرب المثل برداءته ويشبه به الصعب الخلق، الشرس الطبع من الناس والحيوان.

ـ وجاء في ص٤٧٧ س ٤: «فيشيريه»، والصواب: فيشتريه.

ـ وورد في ص٤٨١ س٢: و«الماعزة قد قولد»، والصواب: تولّد.

ـ وقال الموشي في ح٤ ص٤٨٢: «كسكر، كورة من كور فارس»، والمشهور عند البلدانيين من كتبة العرب: أنها من كور العراق إلى عهدنا هذا، وتسمى اليوم: (كوت الإمارة)، أو هي في جوار تلك القديمة، وربما كانت من كور فارس قبل الإسلام، ولا عبرة لذلك.

ـ وذكر المحشي في ح٥ من ص٤٨٣: قائلاً: «وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة «الذكر» على الضرب الكبير من الحيوان»، قلنا: وأول من نبه على هذا الأمر كاتب هذه السطور، وذلك أن العلامة أمين المعلوف رحمه الله زارني في بغداد سنة ١٩٢٢، وذكرتُ له أن العرب تطلق اسم «الذكر» على ما كبر من الحيوان، طيراً كان

أو من ذوات الأربع، أو من السمك والحشرات، بل أطلقوا الذكر على بعض المعادن وأنواع الطيب، فأخذ ذلك عني وأشار إليه في كتاباته، فجاء الأستاذ عبد السلام وقال: «تطلق المعاجم العربية»، والصواب: تطلق العرب.

ـ وشرح الناشر «الضال» في ح٨ ص٤٨٩ بقوله: شجر، وهو كلام يشمل نباتات عديدة ولو قال: الضال من السدر: ما كان عذياً، أو السدر البرّي،لأفاد الباحث فائدة مريحة للبال، واسمه العلمي: Zizyphus Lotus أو Rhamnus Lotus، وبالإنجليزية: Lotus Tree وWild Jujube وLotus Jujube، وبالفرنسية: Jujubier Sauvage, Lotus des Anciens وJujubier des Lotophages.

ـ جاء في ح٧ من ص٥٢٥: «الرق، بالفتح السلحفاة المائية»، قلنا: وهذا تعبير غريب، لأنَّ السلحفاة تكون دائماً مائية برية، ولأنَّ الرق لفظة مستعملة إلى عهدنا هذا في العراق، ويراد به: العظيم من السلاحف، وقد يتساهل فيه فيطلق على الصغار منها أيضاً.

ـ وذكر الجاحظ اليخ بمعنى: الثلج، وهي فارسية الأصل (ح٣ ص٥٢٦)، وهي تستعمل إلى اليوم في العراق إذ يقول أبناء الرافدين: «أبرد من اليخ»، ويخصونه بما يقع منه من السماء، كما يسمونه أيضاً: «الوفر» بواو مفتوحة وفاء ساكنة وفي الآخر راء.

ـ وحكى الجاحظ أنَّ الضفدع «إذا كان صغيراً كان ذا ذنب، فإذا خرجت له يدان أو رجلان، سقط» ص٥٢٨ ولم يذكر اسمه وهو في ذلك الطور. قلنا: واسمهُ حينـئذٍ الشرغ بالكسر، والشـرغوف بالضم، والشفدع أيضاً، وبالفرنسية: Têtard، وبالإنجليزية: Tadpole.

ـ وجاء ذكر العلاجيم في ص٥٣٣ من نص الجاحظ، وهذا حرفه: «والعلاجيم: الضفادع السود». اهـ.

وكثيراً ما كنت أبحثُ عن حقيقة هذه العلاجيم، فإذا هي الضفادع السود[1].
أما سائر أرباب المعاجم فقد ذكروا أنها جمع علجوم والعلجوم: الضفدع عامة.
وقيل: هو الذكر منها. أما الآن فنعتمد على قول الجاحظ، أي: أنه الضفدع الأسود،
ذكراً كان أو أنثى، وهو بالفرنسية: Crapaud، وبالانجليزية: Toad، وبلسان العلم
(أي بلسان أهل العلم): Bufo Vulgaris.



(١) العلجوم العادي بوفو بوفو Bufo bufo. ويتواجد في بريطانيا، علجوم ناتر جاك واسمه العلمي: بوفو كلاميتا Bufo calamita. ويوجد أيضا في بريطانيا العلجوم الأمريكي العملاق بوفو مارينس Bufo marinus. العلجوم الأخضر بوفو فيريدس Bufo virisis، يوجد حوالي أكثر من ٣٠٠ نوع من العلاجيم الحقيقية تعيش على الأرض، ومقارنة مع الضفادع، فإن العلاجيم أكثر تحملاً للظروف الجافة. «الموسوعة المعرفية الشاملة» على الشبكة العنكبوتية ـ نقلاً عن مجموعة «المعرفة» ـ العدد ١٨٠ يوليو ١٩٧٤).

الرسالة الثالثة من الاستدراك[1]

ـ وذكر الكاتب بردي الجرادة والجندب فقال: هما رجلاه، والصواب: أنهما جناحاه، لأن البرد الثوب المخطط، والمخطط في الجراد والفراش ونحوها: الجناح، والجمع أجنحة.

ـ وجاء في متن الجاحظ ص٥٦٢: «يزعم أن الدبا يريد الحضرة، ودونها النهر الجاري»، ونظن أن هناك سقطاً، وهو «يريد الخضرة ولو حال دونها النهر الجاري»، على أن الكلام على ما هو مثبت قد يخرج أيضاً تخريجاً صحيحاً.

ـ جاء ذكر القفعة في ص٥٦٦ وح٣، وهي كلمة استعارها منا الفرنسيون وسموها: Cabas.

ـ وذكر النقل بالفتح ص٥٦٦ وح٤، وهو «ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به، ويقال أيضاً بالضم، وقيل: الضم عامية». اهـ. وعندنا أن الضم هو الأفصح، لأنَّه معرب من اللاتينية Nucleus، وهو كل ثمر ذي نوى يتنقل به عند الشراب.

ـ وقال المحرر في ح١ من ص٥٩١: «فئام جماعات كثيرة، لا واحد له من لفظه»، قلنا: والذي عندنا أن الفئام جمع فئة، وأصل فئام: فئان بكسر الفاء وفي الآخر نون، وهو أقدم جمع معروف في لغتنا. ومثل ذلك في العبرية، فيقولون في جمع سروف: سروفيم، وفي جمع كروب: كرويم، ثم نقلوا الميم إلى النون كما أن أصل التنوين تمييم، وكنا قد وضعنا مقالاً ضافي الذيل في مجلة المشرق البيروتية قبل نحو

---

(١) نشرت هذه الرسالة في مجلة «المقتطف» العدد ١٠٥ الصادر في يوليو ١٩٤٤ (١٧٨-١٨١).

خمسين سنة، وهي ليست أمامنا لنحيل القارئ عليها. ومثل هذا الجمع القديم قول اللغويين في جمع أرض وأوز وسنة: أرضون وأوزون وسنون، إلى غيرها وهي كثيرة، فهذا الجمع أقدم من قولهم: «أراضٍ واوزات وسنوات».

- وجاء ذكر (البواقيـل) التي واحدها (البوقال) في هذا البيت الوارد في ص٥٩٧:

فمن رأى النيل رأى العين من كثب ... فــما أرى النيـــل إلّا في البواقيـــل

قال المطرز الموشي: «البواقيل: جمع بوقال، بضم الباء، وهو كوز بلا عروة».

وجاء في أساس البلاغة، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٩٢م في الجزء ١: ٥٨:

«وفلان لا يعرف البواقيل من الشواقيل، فالباقول (كذا) الكوب، والشاقول: عصا قدر ذراع في رأسها زجّ، يشد إليها المسّاح[١] حبله، ثم يرزّه في الأرض، ويتضبطها حتى يمد الحبل»، وهو من واضح الخطأ. وذلك لأسباب منها: أن البوقال ذكره كثير من اللغويين، ولم يذكر أحد الباقول.

ومنها: أن الغربيين استعاروها منا، وقالوا: Bocal ولم يقولوا: Bacoul .

ومنها: أننا استعرناها من اليونانية Boukalis، ولو كان الفرنسيون استعاروها من اليونانيين لقالوا Boucal، لا: Bocal.

(١) الذي في «لسان العرب»: «الشاقول: خشبة قدر ذراعين في رأسها زج تكون مع الزراع بالبصرة يجعل أحدهم فيها رأس الحبل، ثم يرزها في الأرض ويتضبطا حتى يمدوا الحبل»، وفي «محيط المحيط»: «الشاقول: خشبة تكون مع الزارع بالبصرة، في رأسها زج كعقب الرمح. ومنه شاقول البنائين والمهندسين والفلكيين، وهم يستعملون منه فعلاً، فيقولون: شقل المكان ونحوه أي اختبر ارتفاعه وانخفاضه والاسم عندهم الشقلة، وقيل: هو معرب شاقول بالفارسية» انتهى. قلنا: هي بالنبطية والمندائية - وهي لغة صائبة البطائح - شاقولا. وكانوا أهل زراعة وصيد سمك في العراق كله. (ك)

ومنها: أن أساس البلاغة المطبوع في دار الكتب المصرية مشحون أغلاطاً شنيعة.

ولما عارضنا المطبوع بالمخطوط المحروز في خزانتنا، لاحظنا فيها أوهاماً يأسف لوقوعها فيه كل عربي غيور، وقد ذكرنا للعربي الغيور على اللغة العدنانية، الدكتور منصور فهمي بك سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٤، فقال لنا: إنَّهُ يعهد إلينا إعادة طبعه بعد الحرب، إن أبقانا الله بين الأحياء.

ومنها: أن الذي خدع الواقف على طبعه، ظن أن مفرد البواقيل هو الباقول، لمعرفته أن الشواقيل واحدها الشاقول، فقاس الواحد على الآخر[١].

فهذه أدلة بينة على أن الأستاذ عبد السلام محمد هارون أخذ بالصحيح، ونبذ القبيح.

ـ وجاء في ح٢ ص٥٩٩: «التقنص: الصيد»، والذي عندنا أن التقنص كالقنص، وهو: الصيد بالكلب، وذلك أن الكلمة القنص منقولة من اللاتينية Canis، أي: الكلب أو أنها من اليونانية Kunegesia,as، بمعنى: اصطاد الصيد مستعيناً بالكلب[٢].

ـ وقال الموشي في ح٣ من ص٥٩٩: «والصعو: طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس، وهي بلغة العلم الأوربي Regulus، ومنه ما يسمى: Goldcrest or Kinglet»، قلنا: لو قال الأستاذ أصغر من الدوريّ، أو أصغر من العصفور نفسه عصفوراً. وقول

---

(١) ومن الأدلة المبينة لخطأ أساس البلاغة: أن الطبعة المصرية المذكورة لم تذكر (الشاقول) في مظنتها في أي موطن آخر منها، أما نسختنا الخطية المجودة فقد ذكرتها في مادة ش ق ل، وقد قيدها أيضاً جميع أرباب الكتب لمتون اللغة غير المختصرة. (ك)

(٢) أن العرب ميزوا بين الصياد والقناص والعركي، فالأول يعني: كل من يأخذ حيواناً بحيلة أو بوسيلة من الوسائل. والثاني: صياد الحيوان مستعيناً بالكلب، وأغلب ما يكون هذا الكلب من جلس السلوقي وهو الضرر، وأما العركي: فصياد السمك ولم يشتقوا اسماً لمهنته، فلم يقولوا: عراكة ولا عرك ولا أي لفظ آخر، كما أنهم لم يشتقوا منه فعلاً يدل على ذلك. (ك)

الأستاذ: «بلغة العلم الأوربي» غير موافق للمصطلح المشهر، وكان الأحسن أن يقتنع بقوله: «بلغة أهل العلم» نابذاً «الأوربي» نبـذ النواة، لأنَّ اللفظ العلمي لا يعرفه الأوربي فقط، بل الأميركي، والإفريقي، والآسيوي، والأسترالي. وقوله: «بلغة العلم» صحيح، بخلاف من أنكر هذا التعبير جهلاً لأسرار العربية.

وقوله: « Regulus وهو اسم عام يشمل جميع صغار الطوايئرات المغردة»، ثم قوله: Kinglet أو Goldcrest، وهو اللفظ الانكليزي لنوع من جنس المليك أي Regulus ليس باسم يميزه كل التمييز عن اسم الجنس.

ثم إن الأستاذ عاد فاستعمل العصافير بمعنى الدوريات في كلامه على الدخل في الحاشية (٦) من تلك الصفحة فقد قال:

«الـدُّخَّل، بضم الدال وتشديد الخاء المفتوحة: طير صغار أمثال العصافير تأوي الشجر الملتف، وهي أنواع كثيرة كلها غريد، يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزرويقة، وهو بالإنكليزية: Sylvia or Warbler»، فنزيد على ما قلنا في المشارة السابقة أن Sylvia كلمة لاتينية معناها: دغلية، أي أنها تأوي إلى الدغل، ولعل الدخل العربية مشتقة من الدغل، ثم وزنت وزن صيغة مبالغة، لأنَّ موطنها الدائم الأيك والحرج والغابات، أما الإنكليز فلا يعرفون هذه الكلمة الرومية، إلّا العلماء منهم أرباب الثقافة العالية، وأمَّا اللفظ الإنكليزي لهذا الطويئـر فهو: Warbler، ومعناه: المرنم والمغني والمغرد، واسم هذا الطويئر بالفرنسية: Fauvette.

ومن أسمائها العربية: الشوالة والدخناء والكحلاء إلى غيرها.

ـ وقال الأستاذ في ح٣ ص٦٠٤: «الروح: النفس، يذكر ويؤنث»، قلنا: يذكر ويؤنث إذا أريد به ما تقوم به حياة الجسد، أما إذا أريد به العقل والفكر والوحي إلى ما ضاهى هذه المعاني فلا يؤنث البتة، فالروح الأمين عند المسلمين: لقب جبريل،

ولا يقال البتة: الروح الأمينة. ويقول النصارى: الروح القدس، ولا يقولون: الروح القديسة ولا القدوسة ولا القدسة ولا ما يداني هذه النعوت من الألفاظ المؤنثة، للدلالة على الإقنوم الثالث عندهم.

الخلاصة وهي الخاتمة:

يتحقق القارئ مما كتبناه هنا أن الأستاذ عبد السلام محمد هارون هو من أحسن من تولى نشر كتب الأقدمين، فإنَّه صرف زمناً طويلاً في مطالعة الأسفار على اختلاف موضوعاتها، لإبراز نص الجاحظ بأبهى حلة عبارة، نابذاً كل ما أدخله فيه النساخ والوراقون من التصحيف والتحريف، والحذف والسخف، والزيادة والنقصان، حتى أصبح هذا الكتاب في جميع أجزائه من أصح وأفصح ما برز في المطابع المصرية منذ نشأتها إلى يومنا.

فنحن نشكره باسم العرب جميعهم، ونتمنى أن يتمم ما شرع فيه، ويوفقه الله لإخراج سائر مؤلفات الجاحظ، وأثابه أحسن ثواب.

الأب أنستاس ماري الكرملي

من أحفياء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ردّ
الأستاذ عبد السلام هارون
على الاستدراك على المجلد الخامس

ردّ
الأستاذ عبد السلام هارون
على الاستدراك على المجلد الخامس[1]

قرأت ما دبجته يراعة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي فيما سبق من أعداد «المقتطف»، تعليقاً على المجلد الخامس من كتاب الحيوان، فزاد إعجابي بهذا المحقق الغيور على العلم، وبهرني ما شهد له الناس به من سعة الاطلاع، والإخلاص في البحث والتحري.

وزرته في الدير بشبرا القاهرة، فكدت أقضي العجب حين طلب إليَّ في صدق أن أجادله في ما أراه موضعاً للجدل، ثم هو يعيد عليَّ هذا الطلب، فإذا العلم يرتفع ثم يرتفع في ناظري، وإذا جلال العلماء يأخذني فيما أشهد من كرم هذا الخطير وتواضعه، فالحق وحده يبقى، وتفنى الزخارف والأباطيل.

ـ قال الأب: «نقل المحرر بعض عبارات إفرنجية تفسيراً لبعض الكلم العربية نقلاً عن الأجانب، وكان يحسن به أن يترجمها إلى العربية، ليستفيد منها من لا يفهم الإفرنجية»، ومَثّل بما جاء في الحاشية ١ ص٣٥١، وح٧ ص٤٦٨.

أما ما جاء في الموضع الأول وهو: ...a stone,.

فقد أثبتُّ ترجمته قبلهُ، وهي: «الـمينا حجر يشبه حجر اللازورد تزخرف به

---

(١) نُشرت في مجلة «المقتطف» العدد ١٠٥ الصادر في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٦٣، الموافق ١ نوفمبر ١٩٤٤ (٣٤٧-٣٥٢).

الفضة»، وأما ما جاء في ص٤٦٨ فهو: ..a privy. فقد أثبت تفسيره قبل: «هو الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة من الأرض».

ـ أخذ عليَّ حضرته استعمال «التنبيه» مكان «الحاشية»، مع أن كلمة التنبيه أعرق في الاستعمال من الحاشية، وأوسع مدلولاً. وقد عُرف من مؤلفات الأقدمين «التنبيه» لأبي عبيد البكري على أمالي القالي، و«التنبيهات على أغاليط الرواة» لعلي ابن حمزة البصري، وهي حواشٍ وتعليقات وتصحيحات لبعض كتب اللغة، وهذا نحو ما أنا بسبيله من إخراج مكتبة الجاحظ.

ـ وفي ص٦١ قول الجاحظ: «وإذا انحط شرقاً أو غرباً صار كل شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء ملابساً للغبار والدخان والبخار وضروب الضباب والأنداء، فتراها إما صفراء وإما حمراء».

قال الأب: «الصواب إما صفراً وإما حمراً، أي أن كلاً من صفراً وحمراً بالجمع المنصوب غير الممدود، والمد من جهل النساخ».

وليأذن لي أن أقول: إن العبارة سليمة، وأن كلمتي «صفراء وحمراء» هنا ليست صفة للجمع، وإنما هي صفة للشمس المفردة، فإنَّ الضمير في «انحط» عائد إلى «قرص الشمس» في كلام قبله، وهو: «ولو أن دخاناً عرض بينك وبين قرص الشمس أو القمر لرأيته أحمر، وكذلك قرص الشمس في المشرق أحمر وأصفر، للبخار المعترض بينك وبينه»، فالكلام في لون الشمس، لا لون ضروب الضباب والأنداء.

وليأذن لي كرةً أخرى أن أعلن له أن وصف الجمع المكسر بفعلاء المفرد صحيح لا ريب فيه ولا شية، وقد سبق لي تحقيق قديم في ص٢١٥١ من مجلة الثقافة، توجهت بهِ إلى الأب الجليل، ولست أملك أن أعيده هنا مكرراً، ولكني أضيف إليهِ أموراً:

(١) جاء في اللسان تعليقاً على حديث: «ليس في الخضراوات صدقة»: قياس ما كان على هذا الوزن من الصفات ألَّا يجمع هذا الجمع، وإنما يجمع بِهِ ما كان اسماً لا صفة، نحو صحراء وخنفساء، وإنما جمعه هذا الجمع لأنه قد صار اسماً لهذه البقول لا صفة، تقول العرب لهذه البقول: «الخضراء»، فتسمية البقول بالخضراء، مسبوقة بوصفها بهذا اللفظ، فهي وصف قد سمي به.

(٢) ونظير هذه العبارة ما ورد في المادة نفسها من اللسان ص٣٢٩ س٣: «والخضراء من الحمام: الدواجن وإن اختلفت ألوانها، لأن أكثر ألوانها الخضرة».

(٣) وجاء في اللسان (٦: ٤٢٥-٤٢٦): وحكى ابن الأعرابي: ليل قمراء. قال ابن سيده: وهو غريب، قال: «وعندي أنهُ عنى بالليل الليلة، أو أنثه على تأنيث الجمع»، يعني أن جعل الليل جمعاً لليلة، كما تجمع البقرة على البقر، والتمرة على التمر، فهذا نصٌّ قاطع أيضاً في أن جمع المكسر المؤنث يسوغ وصفه بفعلاء المفرد. ومما هو جدير بالذكر أن ابن سيده من أشد اللغويين تزمتاً وتحفظاً.

(٤) وأما ما يذهب إليهِ الأب من أن ما يرى في الكتب القديمة هو من جهل النُّساخ، فإن هذه حجة ذات وجهين، إذ نستطيع أن نقول إن الناسخين أهملوا بعض الهمزات في هذه الكلمات، إهمال تحريف أو إهمال رسم[1].

ـ وفي ص٨٤ قلت: «البركان عامية، مأخوذة من volcano»، وقال الأب: «والذي عندنا أنها معربة، وقد وردت في شعر ابن حمديس»، وهو يشير بذلك إلى

ما ورد في ديوانه ص٢٤١ من قصيدة له يذكر فيها صقلية:

إذ عثّت فيها التنـانير خلتهـا تفتح للبركـان عنهـا منافسـاً

---

(١) من قواعد علماء الرسم الأقدمين حذف الهمزة خطاً، إن سبقت بساكن، فيكتبون نحو حمراء: «حمرا». انظر المطالع النصرية س٨٢. (هـ)

لكن ابن حمديس[1] ليس ممن يحتج بعربيته، وهو من شعراء القرن السادس الهجري، توفي سنة ٥٢٧، ولعلَّ أقدم نص وردت فيهِ هذه الكلمة ما جاء في التنبيه والإشراف للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٥، قال في ص٥٢: «وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان، ومنهُ تخرج عين النار التي تعرف بأطمة صقلية»، والرجلان ليسا ممن يعتد بتعريبه.

ـ وفي ح٢ ص٩٥: «كذا توفي حوالي سنة ٣٣٧»، أنكرها الأستاذ الأب، وقال: إن الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها، وليست هذه بحجة قاطعة في نفي صحة هذا الاستعمال، فإن فصحاء الكتبة الأقدمين لم يعرفوا كثيراً من العبارات التي نتداولها اليوم، ونديرها على المجاز والاستعارة والتمثيل، أفيمنع ذلك صحة تلك العبارات؟ وفي اللسان: «رأيت الناس حواله وحواليه وحوله وحوليه»، فهذه الألفاظ أخوات يجعل أحدهما في مكان صاحبه.

ـ وفي ح٩ ص١٥٢: «فيما عدا (ل): فمه. وأنى يكون له فم؟»، وهو تعليقٌ على قول الجاحظ: «إذ مرَّ العقعق والسَّخاب في منقاره»، قال الأب: «ورواية الفم أصح من رواية المنقار».

واستشهد بقول صاحب المصباح إنهم قالوا: فم الحيوان.

أما أن رواية الفم أصح من رواية المنقار فلم يأت لها الأب بدليل، إذ لا ريب في أن الاسم الموضوع للشيء أولى من الاسم المستعار له، والمنقار هو الموضوع للطير.

---

(١) هو عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي، أبو محمد، شاعر مبدع، ولد وتعلم في جزيرة صقلية، ثم رحل إلى الأندلس سنة ٤٧١هـ، اتصل بالمعتمد بن عباد ومدحه وأجزل له العطاء، ثم انتقل إلى إفريقية سنة ٤٨٤هـ ومدح صاحبها يحيى بن تميم الصنهاجي، وابنه علياً من بعده سنة ٥١٦هـ توفي بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧هـ عن نحو ثمانين عاماً. ترجمته في: «نفح الطيب» (١: ٤٩١-٤٩٤)، وبروكلمان (١: ٢٦٩ والملحق ٤٧٤)، «وفيات الأعيان» (١: ٣٠٢)، «الأعلام» (٣: ٢٧٤)، «معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة» (ص١٠٨).

وأما استشهاده بما جاء في المصباح من إضافة الفم إلى الحيوان وإدخاله بذلك الطير في جملة الحيوان ففيه نظر آخر، إذ إن المراد بالحيوان هنا ما عدا الطير الذي خص به لفظ المنقار. ومما هو جدير بالذكر أن نسخة «ل» المشار إليها في التعليق هي أصح نسخ الحيوان وأقومها.

ـ وفي ح٥ ص١٥٨ كتبت في قول الشاعر: «معي كل فضفاض القميص»، بقولها: «(ط) فقط الثياب، ولم أجدها في مرجع»، ظنَّ الأب أني استنكر العبارة، وأنا إنما عنَيت أن نسخة ط من الحيوان أتت وحدها بهذه الرواية، ولم أجدها في مرجع آخر من المراجع التي سقتها لتخريج هذا البيت، وسردتها في ص١٥٧-١٥٨.

ـ وفي ح٥ ص٢٠٩ قال الأب: «وقد أخطأ استينكاس بتسميته بالإنكليزية: black Partridge»، والحق أن استينكاس لم يسمه هكذا، بل سماه Francolin، وأما الذي سماه Black Partrige فهو المعلوف في معجم الحيوان ص١٨٤.

ـ وفي ص٢٧٩: «تبت بلاد بالصين»، قال الأب: «الصواب أنّها بلاد واقعة في شرقيها وليست منها»، وأمامي الآن مصور (مصلحة المساحة المصرية) للدولة وفيه رسم للدولة الصينية وهي تشتمل على بلاد الصين الأصلية، وبلاد المغول، وبلاد التركستان الشرقية، وبلاد تبت، وموقع بلاد تبت في الغرب لا الشرق، فليس في شرق الصين إلّا بحر الصين.

ـ وفي ص٢٩٩ قال الأب: إن «سم بريص» ليس من كلام العوام، وإن الشاعر تصرّف في هذه الكلمة «تصرف الشعراء في الكلم من قصر وزيادة وتغيير»، وهذا التصرف الذي عناه له حدود وقوانين، دوَّنها النحاة في أبواب الترخيم، وقيدها الأدباء في ضرائر الشعر، «وسم بريص» ليس على قاعدة من قواعد الترخيم، ولا مما يجيزه الأدباء في ضرائر الشعر.

ـ وفي ص٣٣٥ قال الأب في الكلام على «بيشة»: «والذي في حفظنا أنه من مواضع العراق»، وليس الأمر كذلك، فإن بين بيشة والعراق بوناً شاسعاً. قال ياقوت: «بيشة من عمل مكة مما يلي اليمن، من مكة على خمس مراحل، بها من النخل والفسيل شيء كثير، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد».

ـ وفي ص٣٦٦ قال الجاحظ: «وليس للكلب اسم سوى الكلب، وللديك اسم إلّا الديك»، فذهب الأب إلى أن الجاحظ يعني أن الديك ليس له اسم سوى الديك، واستدرك على الجاحظ بكلمتي «العترسان والعترفان»، والحق أن الجاحظ إنما يعني الأسماء الجامدة التي ليس لها أصل في الاشتقاق، فهو قبل هذا الكلام: «وللسنور فضيلة أخرى، أنهُ كثير الأسماء القائمة بنفسها، غير المشتقات»، وذكر من أسمائه: القط، والهر، والضيون. أما الديك فليس له اسم آخر من الأسماء الجوامد مثل ما للسنور. وأما ما ذكره الأب من «العترسان والعترفان»، فإن الواحد منهما مشتق من العترسة، وهي الغصب والغلبة، والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة، ومنه العنتريس للداهية وللناقة الصلبة الوثيقة والرجل الشجاع. والآخر مشتق من معنى الشدة والخبث. قالوا: جمل عتريف وناقة عتريفة شديدة، ورجل عتريف وعتروف، أي: خبيث فاجر جريء ماض.

ـ وفي ص٣٧٣ ذكر الأب أن «الضمج» وهو ما يعرف في مصر بالبق، لا يعيش بالعراق، وأنّه يموت هناك لشدة الحر، وهذا عجب، فإنَّهُ إنما يتكاثر ويظهر في مصر في شدة الحر، ويختفي في الشتاء والربيع. وقال أيضاً: إن صواب العبارة «يكون في السرر والحصر»، لا «السرر والجدر»، وأيد ذلك بقوله: «إنه يعيش فيها ـ أي الحصر ـ بمئات وألوف»، مع المشاهد الواقع بين ظهراني المصريين أن الضمج إنما يشتد تكاثره في شقوق الجدران وثقوبها، ولذلك يلجأون إلى رأب تلك الصدوع وسد تلك الثقوب.

وأما الحصر فأقل شأناً من الجدر في إيواء الضمج وتكثيره، وأما كلمة «القتل» فقد نبهت عليها في أخطاء الطبع.

ـ وفي ص٤٦٣ عبارة: «التياس صاحب التيوس»، قال الأب: «يكفي التياس أن يكون له تيس واحد، أو أن يكون ممسكاً تيساً واحداً ليصح فيه هذا الاسم»، وعلى قياس قوله ينبغي أن تفسر «الكلّاب» بأنه صاحبُ الكلب، و«البقّار» بأنه صاحب البقرة، وهكذا. وليس ذلك بمألوف في عبارات المفسرين من اللغويين، فهم يقولون في تفسير الكلّاب: إنه صاحب الكلاب، والقرّاد: صاحب القرود، وفي تفسير البقّار: صاحب البقر، والبغّال: صاحب البغال [1]، ولعل ما دفع الأب إلى ذلك ما ورد في اللسان من قوله: «والتياس الذي يمسكه»، وفي القاموس: «والتياس ممسكه» فهما في ذلك تابعان للجوهري في الصحاح، والجوهري إنما تكلم بالإفراد هنا، لأنه أراد يرجع الضمير إلى «التيس» الذي سبق ذكره قبله، وهو مفرد.

ـ وفي ص٤٧٣: كتبت «الغراير» كما وردت في أصل الحيوان بالياء، على التسهيل، فقال الأب: «الصواب أنها مهموزة... لأنّها غير جوفاء ولا يائية البناء»، وليس في الأمر خطأ ولا صواب، وإنما هما مذهبان يجري أحدهما على الهمز والآخر على التسهيل، والتسهيل هو لغة قريش في جميع كلامها، وإن كان النحاة قد وضعوا للتسهيل قيوداً ورسوماً لم تعرفها قريش، فإنّ النصوص متواترة أن قريشاً لم تستعمل الهمزة في كلامها، قال الرضي [2]: «فخففها قوم، وهم أكثر أهل الحجاز ولا سيما قريش، روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولو لا أنّ جبريل عليه السلام نزل بالهمز على النبي ﷺ ما همزنا».

---

(١) انظر: اللسان (٢: ٢١٨ س٢ / ٤: ٣٥٠ س١٠ / ٥: ١٤٠ س٨ / ١٣: ٦٣ س١٠). (هـ)

(٢) شرح الشافية (٣: ٣١). (هـ)

وقال السيوطي[١]: «والكُتَّاب بنوا الخط في الأكثر على حسب تسهيلها لوجهين: أحدهما: أن التسهيل لغة أهل الحجاز، واللغة الحجازية هي الفصحى».

وقال ابن منظور[٢]: وفي الحديث: قال رجل للنبي ﷺ: يا نبي الله، فقال: لا تنبر باسمي ـ أي: لا تهمز ـ وفي رواية: فقال: إنا معشر قريش لا ننبر. والنبر: همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها. ولما حجَّ المهدي قدم الكسائي يصلي بالمدينة، فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه وقالوا: تنبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن»[٣].

على أنَّ المتصفح لكثير من المخطوطات القديمة يرى كتابة التسهيل شائعة فيها.

ـ وقال الأب في ص٤٧٤ في بيت أبي الأسود الدؤلي:

ولا بسبس كالعنز أطول رسلها ورئمانها يومان ثم يزول

«الكلمة مصحفة، أصلها: بشيش بشينين معجمتين يتوسطهما ياء مثناة تحتيّة ساكنة، والشيش: الصيص....» إلخ. وهذا التصحيح الذي أورده لا يستقيم به الوزن، ومن أين لنا تشبيه الصعب الخلق بالرديء من التمر؟

ـ وفي ص٥٢٥: «الرق، بالفتح: السلحفاة المائية»، وقد استغرب الأب هذا التعبير، لأن السلحفاة تكون دائماً مائية برية.

والحق أن السلاحف على ضربين: سلحفاة برية لها طبع الحيوان البري، وأخرى بحرية لها طبيعة التمساح، تعيش في البحر وتضع بيضها في الشطوط، وقد عقد

---

(١) همع الهوامع (٢: ٢٣٣). (هـ)

(٢) اللسان (٧: ٣٩-٤٠). قلتُ (م): وأورده ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٥: ٧). (هـ)

(٣) يُذكَر بهذا اللفظ في كتب اللغة، وروي مسنداً بلفظ آخر عند الحاكم في «مستدركه» (٢: ١٣١) ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وقال الذهبيُّ في «تلخيصه»: «بل منكر لم يصح»، وضعفه السيوطي «الإتقان» (١: ٣٤٠)، ونَقَل كلام الذهبي السابق، وقال الزبيدي في «تاج العروس» (١: ٤٤٧): «ضَعَّفَه جماعةٌ من القُرَّاء والمحدثين..».

الدميري فصلاً لكل منهما. وفي اللسان: «والرق ضرب من دواب الماء شبه التمساح»، ويقال للسلحفاة البحرية أيضاً: الحمسة واللجأة. وقد خصصت المعلمة البريطانية فصلين للسلحفاة البحرية: Sea tortoise وSea turtle، جاء في الأول منهما: these all have the limbs formed as flippers: أي أن لها أطرافاً كهيئة الزعانف، كما خصصت فصلين للسلحفاة البرية: Land tortoise وLand turtle ، جاء في الأول منهما: a chelonian of terresterial habits أي: السلاحف ذات الطبائع البرية.

ـ وفي ص٥٦٦: ورد ذكر «النقل» وهو ما يعبث به الشارب على شرابه، ويتنقل بِهِ وجاء في نصوص القدماء: «ويقال أيضاً بالضم، وقيل الضم عامية»، قال الأب: «وعندنا أن الضم هو الأفصح، لأنه معرب عن اللاتينية: Nncleus»، والحكم بتعريبه ليس من القوة بمكان، لأنَّ المادة في العربية واسعة، واشتقاق هذه الكلمة من مادتها ليس فيه شيء من العصر، ولو قد ذهبنا إلى أنَّها معربة، ما كان هذا اللفظ الذي عرب حكماً ومقياساً في تقدير الفصيح والأفصح، إذ أن اللغة العربية لغة مروية، وللرواية فيها السلطان والحكم، والعرب لم يلتزموا في التعريب معاناة الأصل ولا مقاربته، وإنما يلزمون ما تطوّع لهُ ألسنتهم وأذواقهم.

هذه بعض ما أسعفتني به هذه الصفحات المحدودة من «المقتطف»، وبقيت مواضع لم أعرض لها خشية الإطالة.

وإني لأقدم إلى الأستاذ الأب الجليل شكراً صادقاً، واعترافاً خالصاً بجميل صنعه في ما درس من هذا الجزء من كتاب الحيوان، وندعو الله أن يمتعه بالسلامة والعافية، حتى نقرأ دراسته لسائر هذا الكتاب وما يتلوه من مكتبة الجاحظ، ولنستفيد من أدبه البارع وعلمه الوافر الغزير.

عبد السلام محمد هارون

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

❋ ❋ ❋